

## ... تقاطع الزّمن الطّبيعي / الزّمن التاريخي / والزّمن الحضاري

.. إنّ قيمة الزّمن لا تكمن في ما يطويه في مجراه من تراكبات وإفرازات بل في إرهاصات الوعي به الوعي بالزّمن في انكساراته .. في انسياحاته .. وفي سمته الخطّي أحيانا .. قد لا غلّك أن نكون أوصياء على هذا المارد / السّني . الزّمن .. ولا غلّك أن نحتويه . لأنّ المنطق الأرسطي يقتضي أنّ الكلّ أكبر من أيّ جزء فيه .. ولكننا غلّك بوعي رساليّ أن ننظم فيه ونستثمر باقتدار إنسانيّ جسر كلّ فضاءاته من أجل الفعل التاريخي ..

وعيا بانفعالات الزّمن .. نفتتح اليوم . من تلالنا الحضر .. من سهولنا الكاشفة بلون الحرث عن أتربتها الذّهبيّة المعتملة بالشّمس .. من غاباتنا المعلّقة كحدائق بابل تعبّق برائحة الفلين والصّوبر . عاما جديدا في الحساب الإداري مقدّما له باقتناحية الثّلج .. وقد وشى بالأمس القريب ربي شمالنا الغربي بلون البياض النّاصع في سحره الملائكي ينفث من باطنه ذرى الخير .. الثّلج الذي لا يأتي إلّا لما ينقّي الأرض من ترهلها .. يوحدنا نبضا .. ولونا .. ورؤيا .. وحين تذوي عرائس الثّلج تحت أشعة الشّمس يتدفّق الماء سلسبيلا مهسّسا بين الصّخور .. زمن لون الصّفاء الطّبيعيّ يكتمل القمر في تنامج وجودي مع تباشير رمضان المعظم يدلف لديارنا محمّلا بتباريج الفرح وعطافات الفيض الوجودي ..

إنّها سنة 1999 في اعتبار الزّمن التّاريخي والموضوعي .. وهو شهر رمضان . شهر الصّيام في اعتبار الزّمن الحضاري لأمة الإسلام وهو فصل مشرق ومتكرّر في دورة كدحنا نحو الله .. فيه تخلص الأنفس من ترهلها وتحرّر من بعض انشدائها الشّهواني وتتحفّز

الهمم يمراس الصبر والالتزام لمزيد البذل والعطاء .. وكما وحدتنا الأرض والمصير التاريخي يوحدنا رمضان وجدانياً فتتناغم الأرواح والأبدان حين تصفد في هذا الشهر غيلان الشرّ والأنانية .. فتهفو الأفتدة للسّخاء أكثر .. وتعتمل إرادة التفاعل والتراحم الجمعي على درب التكافل الإجتماعي فيمتحق السّغب من بين ظهرانينا ويكفر الحرمان أدياً .. لينمو في أديمنا كلّ نبت حيّ محملاً بكلّ إمكانات الخصب .. وتلك علامة اختيار في وطننا اليوم وهو يحشد طاقات أبنائه في أعراس تضامنيّة - تلقائيّة وجماهيريّة .. كلّ من موقعه .. وكلّ بحسب قدرته يحدهم أنّهم التاطوا بالوطن حدّ النّوى ..

.. وهي بعد سمة متأصلة في منظومة ديننا الإسلامي الخفيف : في رحاب تعاليمه تشيع قيم النّصرة والتآلف والتآخي الحقّ .. على قاعدة أنّ المسلمين تتكافأ دماؤهم وأعراضهم ويسعى بذمتهم أدناهم .. وهم في توأدهم وتراحمهم كالبنيان المرصوص أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد ..

.. يجيء رمضان رديف عام جديد .. وفصل جديد .. وتلك حقبة تتضوّع بأنس التّقاليد الخالدة .. تُراوح فيها وجدانياً بين عالم الغيب وعالم الشّهادة .. فيه كثير من المراجعة .. وتحذير الكيان وتفعيل الإرادة الذاتية والجماعيّة ..

ورد في الأثر النبويّ : « صوموا تصحّوا » .. فعلى صحو الصّوم نصّح ويصلب عودنا وتنتصب هاماتنا .. وحين نصّح عقلياً وجسدياً نتجز معرفياً .. ونشيد للغد القادم صروحاً .. ونزرع للغد القادم .. زيتونا ونخلنا من سواعدنا .. نبني ونزرع ونرفع باليمين رايتنا بأكفّنا غير مسنودة لأحد ..

**فليس قدراً أن لا تتألق الوردة إلا مسنودة للجدار ...!**

**التحرير**

# أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك

## نظرة حديثة في قضايا العصر

بقلم : حسن بن سليمان

من الألفاظ التي شاعت في الاستعمال اليوم وأصبحت مألوفاً أن نسّم فكراً أو موقفاً بأنه حديث كما ألفنا بالمقابل أن نتحدّث عن موقف أو فكر آخر بأنه محافظ أو تقليدي إلى غيرها من الألفاظ التي تعبّر عن تجذّر المواقف في بيئتها واتصالها بما يحفّ بها من مواقف الآخرين رافضة بذلك الإنعزال في جزر فكرية .

ليس من شروط الحداثة ولا من مستلزماتها أن يكون ذلك الموقف متقدّماً في الزّمن أو واقعاً في ذروة الحاضر مبشّراً بما يأتي بعده من الأزمان إذ: أننا نجد مواقف وآراء في التاريخ لكنّها كانت حديثة : فأراء المعتزلة كانت حديثة في عصرها وآراء حازم القرطاجني (608 هـ . 684 هـ) في البلاغة والشعر كانت حديثة هي الأخرى في بيئتها وعهدها . فالزّمن ليس شرط الحداثة إنّ الفكر الحديث ليس حديثاً لأنّه وجد في فترة تاريخيّة جدّ متقدّمة بقدر ما هو حديث لأنّه يرّم قطيعة جزئيّة أو كليّة مع الشائع من الآراء والمألوف من المواقف والسلوك إلى غير ذلك من القيم الثقافية التي اتخذها النّاس في حياتهم . كذلك كان فكر خير الدين التونسي (1822 . 1890) في القرن الثّامن عشر . فهو حديث لأنّ ما عبّر عنه من أطروحات في أقوم المسالك كان بالقياس إلى الأعراف والقيم السّائدة بتونس والعالم العربي الإسلامي يرهص بميلاد الفكر السياسي والإقتصادي الحديث بما تضمّنه من حديث عن الحرّيّة والعدالة وقواعد الاتّجار وتبادل السّلع وهي من المفاهيم التي صارت اليوم حجار الزاوية في النظريّات الاقتصاديّة والسياسيّة الحديثة .

إنّ " أقوم المسالك " موقف حديث لأنّه يُجمل تصوّر الأوضاع بالأيالة التونسية خلال القرن الثامن عشر ويستقصي أسباب عللها الداخلية والخارجية وهو لا يقف عند هذا الحدّ بل يتعدّاه إلى تقديم الحلول المناسبة للخروج من وضع الأمة وتحقيق التمدّن المنشود على غرار ماتعيشه الأمم الأوروبية من رفاه وتقدّم .

## تقديم الكتاب :

" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " كتاب وضعه خير الدين التونسي وصدر الكتاب سنة 1867 "بأذن خصوصي من الحضرة العلية " ويعني به المشير الثالث محمّد الصادق باشا باي ( 1859 . 1882 ) . يحتوي الكتاب حسب ما جاء في خطبته بقلم الكاتب نفسه " مقدّمة وبابين " ومحتوي المقدّمة ثلاث أبواب : التنظيمات . التمدّن الأوروبي ، تلخيص المكتشفات والمخترعات . أمّا الكتاب الأوّل فيحتوي عشرين بابا يتعلّق كلّ باب ببلد . في حين يحتوي الباب الثاني ستّة أبواب خمسة منها في جغرافية الفارقات والسادس في أقسام البحر .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## الخطبة :

صدّر خير الدين كتابه بخطبة تستغرق حوالي سبع صفحات . ولئن كانت الخطبة من الفوائح التقليديّة في الكتب فإنّ خير الدين خرج بها عن المعتاد وجعل منها قسما أساسيا في الكتاب ففيها تحدّث عن مقاصد التأليف ومنهجه وضرورة الاقتباس عن الغرب متعرّضا لصدود رجال الدّين والسياسة عن ذلك .

## 1 - التاريخ إخبار / تحقيق :

يتجلى في هذه الخطبة بذور تفكير اجتماعي فلسفي في التاريخ فخير الدين طالع ولاشك مقدّمة ابن خلدون على غرار مفكّري عصر النهضة جميعا كما أنّه



أدرك جيّداً وظيفة التّاريخ الجديدة في المقدّمة ، فالألفاظ التي يستعملها خير الدين عندما يتحدّث عن أحوال المجتمعات والأمم تدلّ دلالة كافية على فهم التّاريخ فهما حركياً يعني تلك التحوّلات والتغيّيرات التي طرأت على أمة ما بين فترات تاريخيّة متباعدة أو تلك التحوّلات التي تميّز أمة عن أخرى في فترة تاريخيّة. يقول خير الدين :؛ إنّي بعد أن تأملت طويلا في أسباب تقدّم الأمم وتأخرها جيلا فجيلا مستندا في ذلك لما أمكن تصفّحه من التواريخ الإسلاميّة والإفرنجيّة مع ما حرّره المؤلّفون من الفريقين فيما كانت عليه وآلت إليه الأمة الإسلاميّة وما سيؤول إليه أمرها في المستقبل ...» ص 82 . ويضيف :؛ ثمّ إذا اعتبرنا ما حدث في هذه الأزمان ...» ص 82 . إنّ التأمّل والتصفّح والاعتبار هي الرّؤية الجديدة للتّاريخ وهي رؤية موازية لرؤية ابن خلدون الذي خرج بالتّاريخ من مستوى نقل الأخبار والوظيفة الإخباريّة إلى مستوى النّظر والتحقيق . وخير الدين لم يتقل في كتابه أخبار الأمم المتمدّنة ولم يصف أحوالها إلّا لغاية " الاعتبار " واستخلاص العبر والمقارنة من أجل الوقوف على الخلل وبالتالي الإصلاح بواسطة الاقتباس الذي لن يتأكّد إلّا بمعرفة أحوال من ليس من حزبتنا لا سيّما من حفّ بنا وحلّ بقرينا ..» ص 82 . على هذا النحو فهم خير الدين التّاريخ ونظر إليه على غرار ابن خلدون وجملته التي صارت عقيدة المؤرّخين الذين تعاطوا التّاريخ بعده : " التّاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار وفي باطنه نظر وتحقيق " .

إنّ وضع الآيالة التونسيّة والإمبراطوريّة العثمانيّة كان يقتضي استقراء التّاريخ وتأمله والتحقيق فيه بغاية إدراك أسباب تمدّن الأمم وانتهاج تلك السّبل واصطناع تلك الأسباب ولكن أيضا معرفة الأوضاع التي أدّت بها إلى الانحطاط والسقوط . إنّ الكتاب الثاني ( يحتوي عشرين بابا كلّ باب يتعلّق ببلد ) يضمّ بحثا لكلّ أسباب العمران ومظاهر التمدّن واستقصاء وافيا شمل الأسباب التي مكّنت تلك الدول من النهوض بعد الانحطاط وهو أمر يكشف لدى خير الدين عن رغبته في أن يكون التّاريخ الإسلامي المشرق والتّاريخ الأروبي حافظا على التطوير .

## 2 - الإنسان مدنيّ بالطبع :

من القوانين التي صاغها خير الدين في خطبة الكتاب مستندا في ذلك إلى تصفّح التّاريخ واطلاعه على مقدّمة ابن خلدون :الإنسان مدنيّ بالطبع، وإن لم يعبر عنه بنفس الوضوح والإختصار . يقول خير الدين : « ثمّ إذا ما اعتبرنا ما حدث في هذه الأزمان من الوسائط التي قرّبت تواصل الأبدان والأذهان لم نتوقّف أن نتصوّر الدنيا بصورة بلدة متّحدة تسكنها أمم متعدّدة حاجة بعضهم لبعض متأكّدة ، وكلّ منهم وإن كان في مساعيه الخصوصية غريم نفسه فهو بالنّظر إلى ما ينجّر بها من الفوائد العموميّة مطلوب لسائر بني جنسه » ص 82 . إنّ خير الدين وهو يعبر عن مدنيّة الإنسان بقطع النّظر عن خصوصيّة وضعه الثقافي أو العرقي أو الديني إنّما هو يبرّر لاقتباس المسلمين عن الحضارة الأروبيّة رغم الإختلافات الموجودة بين الحضارتين والعقيدتين فكلّ شيء ، يطوّع لخدمة مدنيّة الإنسان وتقدّمه . فالمسلم لم يعد قادرا بحكم العوامل التاريخيّة المتراكمة على النّهوض بواسطة إمكاناته الذاتيّة وطاقاته الخاصّة ولم يعد قادرا على إشباع الحاجات المستحدثة لذلك توجّب عليه أن يأخذ بأسباب التمدّن والحضارة ، وهي الأسباب نفسها التي أخذ بها الغرب فأعجز التقدّم الذي تفوّق به على المسلمين . إنّ مدنيّة الإنسان والمجتمع هي المبرّر لاقتباسه عن غيره وهي الباعث على الإحتكاك بالآخر والتّفاعل معه وتبادل التّأثير والتّأثر . وإذا كان الإفرنجي مدنيّا يأخذ عن غيره أسباب الرقيّ بعد أن عاش عصر الظلمات فإنّ المسلم ليس أقلّ / أو أفضل منه ليأخذ عنه أسباب التمدّن .

## 3 - احتكاك الحضارات وضرورة الإقتباس :

لقد أفضى استقراء وضع الأمم الأروبيّة المتمدّنة المشتركة في الحضارة والثّقافة واللّغة بخير الدين إلى الإقرار بتصوّر "الدنيا بصورة بلدة واحدة " ولقد بيّنت النّظريّات الاجتماعيّة الحديثة، رغم تباين مدارسها وتياراتها أنّ العالم على اتّساعه هو قرية صغيرة ترتدّ في حدودها الإختلافات والفوارق إلى وحدة كليّة هي الإنسان.

ذلك الكائن القاصر عن تحقيق رغباته بمفرده . وقد أكدت علوم الإتصال الحديثة هذه الفكرة عندما حوكت العالم الفسيح إلى قرية صغيرة تنسحق بين مفاصلها المسافات والحواجر . ويستطيع الإنسان أن يتواصل مع الإنسان بفضل التكنولوجيا المعقدة وقد عززت التجمعات والتحالفات الإقتصادية والسياسية بين الدول الشعور بضرورة الإجتماع ، ومما جسم أخيرا هذه الفكرة على صعيد الإجراء وحوكها إلى واقع تعيشه الشعوب تهوي النظريات التي تقسم العالم إلى كتلتين تجند كل واحدة منهما مجموعة دول خلفها مكرسة بذلك واقع تفجر الوحدة الكونية . إن مشاهدات خير الدين أثناء سفراته إلى ممالك أوروبا ودولها قاده إلى ملاحظة تمدن هذه الدول ورفقها وأدّى به إلى الإقرار بأن الوضع الحضاري لتلك الأمم إنما هو نتيجة احتكاكه وتأثيرها المتبادل . فحديثه عن الحرية يأتي عند حديثه عن الأوروبيين في قوله : " ومن أهم ما اجتناه الأوروبيون من دوحة الحرية تسهيل المواصلات بالطرق الحديثة .. ص 210 . فالحرية كقيمة أساسية لا تأتي إلا عند الحديث عن ممالك أوروبا موحدة بفعل تفاعلها المتبادل للمنافع . إن خير الدين يستحضر في ذهنه صورة الرجل المريض الذي نخرته القوميات وحركات الانفصال عن السلطة المركزية فصار متخلقا يعيش الأزمة وهو لا يتصور الحل لها إلا بالرقى بواسطة اقتباس النموذج الغربي وخاصة المؤسسات السياسية التي مكنت الغرب من النهوض . فخير الدين يرى خلاص الدولة العثمانية في اقتباس نظام الحكم المؤسس على العدل والشورى .

تكيف الشريعة لتناسب أحوال الوقت : أدرك خير الدين أن الإطار الذي يكتب فيه وله عربي إسلامي وأن المعنيين بالكتاب سواء السلطان العثماني أو الأمير الحسيني (في تونس) هم من المسلمين ، لهذا السبب حافظ المؤلف على هذه الروح وطبع تأليفه بها ، غير أن خطبة الكتاب جاءت تحمل موقف خير الدين من رجال الدين الذين أغفلوا أن الترقى لا يتم إلا بمعرفة أحوال من ليس من حزيننا لا سيما من حلف بنا وحلّ بقرينا . « كما أغفلوا أن الإنسان مطلوب لبني جنسه » . وأغفل رجال الدين لهذين الاعتبارين يعود إلى نفورهم من التعامل مع الغرب الذي

لا يدين بالإسلام ، لذلك لم يبيحوا الإقتباس عن أوروبا . إنّ مغالاة رجال الدين في رفض ثقافة أوروبا والنظام السياسي المنتهج في أوروبا جعل خير الدين يدعو رجال الدين إلى تبيين موقفهم وجعله يستجيب إلى مصالح الأمة ومنفعتيها وهي دعوة صريحة إلى الإجتهد في فهم روح الشريعة ومقاصدها عند تنزيل الأحكام وتكليف البشر بالقيام على تنفيذها . يقول خير الدين : " فمن لاحظ الإعتبارين يسوؤه أن يرى بعض علماء الإسلام الموكول لأمانتهم مراعاة أحوال الوقت في تنزيل الأحكام معرضين عن استكشاف الحوادث الداخلية وأذهانهم عن معرفة الخارجية خلية ولا يخفى أنّ ذلك من أعظم العوائق عن معرفة ما يجب اعتباره على الوجه اللائق " ص 82 - 83 . إنّ ما يعنيه خير الدين في هذا الشاهد لا يزيد على دعوة إلى إعادة قراءة النص الديني في ضوء ما يطرأ من قضايا حديثة أي أن تقاطع المقدس والتاريخي ويشتركان في دائرة واحدة بعد أن كانا منفصلين متابعا في ذلك سنة ثقافية تعود أصولها إلى الشاطبي صاحب الإتجاه المقاصدي في موافقاته وسار في هذا الخط حديثا الشيخ الطاهر ابن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية . إنّ خير الدين حلقة وسطى بين هذين العلمين وهو رجل سياسة بينما كانا فقيهين وهو بحكم الظروف التي حفت به يرهض بتحويلات فكرية واجتماعية سجد صداها في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن العشرين سواء على صعيد السياسة أو الفكر . ولا شك أنّ الحملات التي تعرض لها خير الدين لهي دليل آخر على أنّ فكرة تجديد النظر إلى الشريعة بنظرة حديثة تقوم على المصالح ودفع المضار وإن خالف ذلك حرفية النص القرآني ، هذه الفكرة لم تجد طريقها إلى الأذهان ولم تجد صدى في نفوس التقليديين الذين تحاملوا عليه .

هذه مجموعة قضايا بسطها خير الدين في خطبة كتابه " أقوم المسالك " تدلّ على وعي الرجل بأنّ القضايا الحادثة لا بدّ أن يتمّ اصطناع فكر حديث لمعالجتها يستلهم أصوله لا فقط من تراثنا العربي الإسلامي بل كذلك من إنجازات الفكر الإنساني الحديث .

## اشكالية العلاقة بين السلطة السياسية ومشروعيتها في صدر الإسلام

بقلم : رمضان بن رمضان

سوف نبدأ في تناول مسألة السيادة العليا والسلطة السياسية في بعض أفكار جورج بلانديه وخاصة فيما يتصل بالأنثروبولوجيا السياسية لأننا نعتبرها هامة ولها علاقة بما يحاول أركون إبرازه حول بروز السلطة خلال الفترة التأسيسية . بفصل بلانديه النظرية السياسية عن نظرية الدولة بالمعنى الغربي للكلمة ويبين أن المجتمعات البشرية كلها تنتج سياسة وأنها مختوقة من قبل السياسة والعامل السياسي يتخذ أشكالا مختلفة بحسب التشكيلات الإجتماعية والثقافات المتنوعة ويركز بلانديه أيضا على أهمية الخيال في صياغة العمل السياسي والظاهرة السياسية وهذا يقودنا إلى اكتشاف علائق وثيقة بين عامل التقديس من جهة والعامل السياسي من جهة أخرى وقد وصل به الأمر إلى حد أنه قال : ينبغي أن تبقى الكنيسة مفصولة عن الدولة ولكن سوف يبقى هناك شيء من التقديس في السياسة .. وهذا شيء محتوم وإلا فإن السياسة لا تستمر ولا تشتغل .

أما في فصل "آفاق الأنثروبولوجيا السياسية " من كتابه " الأنثروبولوجيا السياسية" يقول بلانديه متحدثا عن الأسطورة ووظيفتها السياسية : تصور مالفينوسكي الأسطورة على شكل شرعة تنظم الحياة الإجتماعية وتساعد تاليا في الحفاظ على الأشكال القائمة لتوزيع السلطة والملكية والإمتياز . حسب هذا التفسير تسهم الأسطورة في الحفاظ على الخضوع وتعمل فعاليتها لصالح السلطة القائمة لحمايتها ضد المخاطر المحتملة وإما لتبرير الطقوس الدورية الضامنة لتعزيزها .

## الشرعية العليا :

هذه المفاهيم الموجزة سيحاول أركون استثمارها وتوظيفها عند فحصه لمسألة السيادة العليا والسلطة السياسية يقول أركون : « بفضل النص القرآني والمقاطع المتفرقة المعترف بصحتها في السيرة النبوية والحديث يمكن أن نكون فكرة ما عن التجربة المحمدية التي وصلت بنتائجها التاريخية والبشرية إلى حد أكبر بكثير جداً من دوافعها وخطتها ومنفذيها التاريخيين الأول وانطلاقاً من هذه التجربة سنحاول أن نحدد مواضع ظهور عقل إسلامي معين وعقل دولة أيضاً وأساليبيهما فلا بد من إعادة تركيب تاريخية ونقد فلسفي لنظام العقلين اللذين تستند إليهما ، وانطلاقاً من الظاهرة القرآنية - سلطات دينية وسياسية مختلفة وذلك من أجل أن تسوغ نظاماً تاريخياً - اجتماعياً وتخضع عليه الشرعية .

إن فهم تفصل عقل إسلامي مع عقل دولة وتعاضدها منذ بداية ظهورهما في التجربة التأسيسية يسهل علينا أن نتبع فيما بعد جدلية العلاقة بين هذين العقلين في السياقات الاجتماعية الثقافية الشديدة التنوع ، إن جميع السلطات السياسية التي ظهرت في أرض الإسلام منذ عام 632 م كانت قد نسبت نفسها إلى تعاليم القرآن وادّعت المسؤولية العليا في حماية هذه التعاليم وقد أدّى ذلك إلى تشكل نظرة قسرية تقول بأن الإسلام دين ودولة لا ينفصلان .

إن السيادة العليا المنبثقة من النص القرآني تجد دعامتها في السور المكية التي ركزت بشكل هائل على التبشير بالدين الجديد وترسيخ فكرة التعالي المطلق ووحانية الله وهذه هي المرحلة الأولى مرحلة انبثاق الشرعية العليا التي تعلو على كل شيء ولا يعلوها شيء وقد ترسخت بواسطة الآيات القرآنية ذروة السيادة العليا الإلهية ثم سيادة الرسول المرتبطة بها .

أما في المرحلة المدنية فقد اهتمت الآيات القرآنية بالتشريع للدولة الجديدة وسن القوانين وتنظيم أمور الناس لذلك فهي تتميز عموماً بالطول والأسلوب البرهاني ومحاولة الإقناع والحاجة هذافي حين أن السور المكية كانت تتميز بالقصر وعنق الأسلوب وقوة المجاز وغزارته . هذه السيادة العليا الموجودة في القرآن لكي ترسخ تحتاج إلى عامل الوقت والتكرار والشعائر والطقوس وعملية طويلة من استبطان

الصيغ الأدبية والفنية على أساس أنها معايير متعالية استبطانها من قبل أعضاء الجماعة التي تنتج التراث وينتجها التراث بدوره . هذه السيادة هي التي سوف تسوغ السلطة السياسية للنبي ولخلفائه من بعده وتشرعها . ففي البداية كانت سيادة النبي أو هيبته بادية للعيان وواضحة بشكل مباشر من خلال حضوره الجذاب (الكاريزم) وعمله التاريخي من جهة ثم بواسطة البنية البلاغية والتركيبية للخطاب القرآني من جهة أخرى ولكن بعد موت النبي سوف تتفرع هذه السيادة المبلورة طيلة عشرين عاما إلى قسميهما القرآن والحديث ثم سوف يجمع القرآن والحديث وينقلان ويسجلان كتابة ويفسران ويعلى عليهما ويشكلان في النهاية مجموعة نصية ضخمة من التراث الكتابي المقدس . أما الدولة من جهتها فسوف تستخدم هذا الجانب من السيادة العليا أي سيادة النصوص وتستعين بها لكي تمارس سلطة سياسية وثقافية .

### العنف الطبيعي والعنف الدموي :

إن ما يميز مسألة السيادة في المرحلة النبوية عن السيادة في مرحلة الدولة الأموية يكمن فيما يلي حسب أركون : لقد حصلت عملية معاكسة لتلك التي حصلت في زمن انبثاق القرآن والحضور الجذاب لشخصية محمد ففي تلك الفترة أعطيت الأولوية لتحديد السيادة والمشروعية ثم نشرها واستبطانها وتغللها كأنها آتية من الله لكي توجه قرارات النبي وأعماله وتسبغ عليها الشرعية . كانت السيادة العليا عندئذ تسبق من الناحية الزمنية والأنطولوجية كل ممارسة فعلية للسلطة ولكن الصراع الذي جرى بين المفاهيم التقليدية والآليات العصبية السائدة في المجتمع العربي قبل الإسلام من جهة وبين الرؤيا الجديدة التي أسسها القرآن من جهة أخرى قد أبان عن مدى مقاومة التاريخ الديني لهذه الرؤيا الجديدة وعن ضغوطاته على الجهود الهادفة إلى تسامي الوجود البشري وجعله متعاليا ويرى أركون في مقتل كل من عمر وعثمان وعلي شهادة كافية للتدليل على رسوخ ظاهرة العنف الأولى السائدة في المجتمعات البشرية كافة وبالتالي محدودة وظيفة السيادة العليا بالصيغة التي حاولت أديان الوحي فرضها بها : هذا على الرغم من الوجود

الحقيقي لهذه السيادة ودون التقليل من أهميتها لقد كان هدف الأديان يكمن في السيطرة على العنف الطبيعي الأولي الموجود في أعماق كل شخص بشري وذلك بواسطة عملية التّسامي الأخلاقي والتّصعيد الروحي لدوافعه وغرائزه .

أمّا الدولة التي أسّسها الأمويون ومن بعدهم العبّاسيون فهي وليدة العنف الدموي كما يقول أركون وقد حصل نوع من القلب أو العكس للمراتبيّة الأخلاقيّة - الروحيّة التي كانت سائدة في زمن النّبي - هذه المراتبيّة المتمثّلة بالمعادلة التالية : سيادة عليا / سلطة سياسيّة .

أصبحت الأولويّة للسلطة السياسيّة القائمة على استخدام العنف لكي تفرض نظامها الاجتماعي والسياسي المثبت والمرسخ من قبل الفئة الاجتماعيّة المنتصرة . والدولة بصفقتها قوّة ظبط وإكراه قسري سوف تستخدم ذروة السيادة العليا كمرجع ضروري من أجل تبرير سلطتها السياسيّة التي تنقصها في الأصل كلّ شرعيّة ذاتيّة أو حقيقيّة بل أصبحت تتلاعب بالسيادة العليا للنصوص ( القرآن + حديث ) وتحولها لصالحها وتجعلها تقول كلّ ما يبرّر وجودها ويرسخ شرعيتها وأصبحت تفرض إنتساب النّاس إليها عن طريق القوّة لهذا السبب وكما يقول أركون نستطيع التحدّث هنا عن الإيديولوجيا الرّكسيميّة التي تفرض بالقوّة صورة معيّنة عن السلطة الشرعيّة وذلك بواسطة تقوية المنشأ الحقيقي والتاريخي للدولة وتزييفه .

### السلطة والقوى الاجتماعيّة :

إنّ مسألة السيادة العليا والسلطات السياسيّة في الفكر الإسلامي يمكن أن تكون مجالا خصبا للمساهمة في معالجة الفكر النقدي الحديث لقضيّة السلطة ومشروعيتها فلئن فرضت الثورة الفرنسيّة العلمنة كبديل سياسي وفلسفي عن النّظام القديم الذي سيطرت عليه الكنيسة فأصبح الإقتراع العام مصدرا للسيادة العليا والهيبة في المجتمع بدلا من الوحي المسؤول والمطبق طيلة القرون السابقة من قبل السیادات الروحيّة . أو السلطات الروحيّة المأذونة وبلغ الأمر بالفاعلين الثوريين إلى حدّ تنفيذ حكما لإعدام بلويس السادس عشر كرمز عن موت النّظام الملكي المقدّس وانبثاق السيادة العلمانيّة والسلطة العلمانيّة فانه على العكس من ذلك



نلاحظ أنه عندما جاء الحميني إلى السلطة أراد محاكمة الشاه وإعدامه بصفته رمزا لموت الطاغوت العلماني وظهور الإمام المقدس . هكذا تظل السلطة تبحث عن مشروعيتها إما في السيادة العليا للنصوص المقدسة أو في السيادة العليا للدساتير العلمانية وكما لاحظنا أن السيادة العليا للنصوص المقدسة هي عرضة للتلاعب والإحتكار فإن الدساتير هي أيضا معرضة لذلك ويضرب أركون مثالا على ذلك ما يحدث في فرنسا بلد الديمقراطية والتعددية نجد أن مشكل السلطة والمشروعية العليا ليست محلولة كما قد يظن بعضهم والدليل على ذلك أن قوى اليمين لم تستطع في البداية وربما حتى الآن هضم فكرة خروج السلطة من يديها عام 1981 وراحت تختبر العراقيل وتحتمل على الدستور لكي تزعزع رئيس الجمهورية الاشتراكي وراح هذا الرئيس بالذات يحتمي بهيبة الدستور . هذا الدستور الذي كان اليمين قد فرضه عام 1958 لكي يرد على نفسه هجمات اليمين المتعطش إلى السلطة التي فقدها ، ولو لا ضغط قيم الحداثة على المجتمع الفرنسي لبلغ التوتر ما بين اليمين واليسار مبلغا يهدد المجتمع الفرنسي هكذا أصبح الدستور والنصوص المقدسة أيضا مشيرة للقرارات العديدة التي تذهب به في هذا الإتجاه أو ذاك لتثبيت شرعية الحكم الجديد أو نقضها باختلاف الحالة وهذه هي الجدلية المعقدة التي تربط بين السلطة والمشروعية .

### علمانية بدون تنظير :

في خاتمة حديثنا عن مسألة السيادة العليا والسلطات الدينية لابد من التعرّيج على مسألة العلمنة في الإسلام ففي التجربة التأسيسية ترسخت في الفترة المكيّة خاصة . حيث تتكاثر الآيات المرسّخة لدعامة انطولوجيّة قويّة وحيث يساهم الإله في التاريخ الإنساني ويتدخل باستمرار في هذه السيادة العليا . هي التي ستشرع فيما بعد لسلطة الرسول ففي الفترة المدنية تتوالى الآيات التشريعية والجدالية . مرتبطة بالوضع التاريخي والإجتماعي والسياسي الذي عاشه النبي في تلك الفترة فالسلطة على مدار التاريخ الإسلامي كلّ كانت سلطة زمنيّة مضبوطة وموجّهة من قبل السيادة الدينية . فالسيادة الدينية العليا التي كانت دعامة لسلطة النبي أصبحت في الفترة الأمويّة والعباسيّة خاصّة أيديولوجيا كاملة للتبرير والتسويق .

وأصبحت السلط المتتالية تبحث في الدين عن مشروعية قيامها وبقائها ويرى أركون أن الدولة الإسلامية في البداية كانت تبحث عن تسويق ديني .

ولكن في الواقع فإن تلك الدولة هي في الأساس علمانية واجهت مشكلة تنظيم المجتمع كأية دولة ناشئة ويستشهد أركون برسالة الصحابة التي كتبها ابن المقفع (ت 142 هـ/760 م) ففي هذه الرسالة يحدد ابن المقفع بني الدولة ومؤسساتها أي بني الدولة العباسية التي ستنشأ في بغداد وذلك دون أي رجوع إلى الدين ويتناول الكاتب في هذه الرسالة قضايا محسوسة ومادية تماما من مثل أسلوب حكم سوريا والعراق وكيفية إعادة الأمن إليهما . وقد نتج عن ذلك قرارات تخص الجيش والشرطة والقضاء . إن ابن المقفع يشرح كل ذلك بكلمات وتعابير وضعية تماما ودون الاستعانة بالفكرة الوهمية للقانون الديني الإسلامي .

إن خلاصة رأي أركون فيما يتصل بموضوع العلمنة يتمثل فيما يلي :

المجتمعات العربية الإسلامية القديمة عرفت العلمنة وعاشتها ولكن لم يقع التخلي لها . وأن التمييز بين الروحي والزمني - لم يتحقق كلياً في يوم من الأيام وإن تداخلهما لا يزال مستمراً حتى في بلد ذي تراث علماني عريق كفرنسا لذلك يرفض أركون الفكر المتعلمن الذي بتعلة حياده يزيع كل معرفة علمية بتاريخ الأديان من اهتمامه أي يقصي بعدا قاراً وكونياً في المجتمعات الإنسانية وبطال بغير علماني منفتح يمارس النقد إزاء المعرفة ساعياً إلى العلمية قدر الجهد ومبتعداً عن الأيديولوجيا وهيمنتها هذا النمط من العلمنة هي تقدم أساسي للفكر .

---

هوامش الإحالات في المتن مأخوذة من المراجع التالية وقد حذفت من المتن للتخفيف :

1 - M Arkoun - Lectures du Coran - Paris Ed Maisson Nouve et La rose 1982

2 - حوار مع جورج بلاتديه . الفكر العربي المعاصر عدد 1986/41 .

3 - أفاق الأنثروبولوجيا السياسية من كتاب - جورج بلاتديه - " الأنثروبولوجيا السياسية " ترجمة جورج أبي صالح . الفكر العربي المعاصر عدد 1986/39 .

4 - محمد أركون : القدسي والثقافي والتغيير / مفهوم السيادة العليا في الفكر الإسلامي الفكر العربي المعاصر عدد 1986/39 .

5 - محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي . بيروت مركز الإنماء القومي 1986 .

6 - M Arkoun - Ouvertures sur l'Islam - Collection ouverture Ed 1989

## اطلالة على تاريخ قلبية في العهد الحسيني

بقلم : محمد البدوي

ازدانت المكتبة التاريخية بأثر جديد هو كتاب ( إطلالة على تاريخ قلبية في العهد الحسيني ) للأديب والمؤرخ والباحث الأستاذ محمد الصادق عبد اللطيف ، الذي عرفته الساحة الأدبية ضارباً بقلمه وبحضوره في شتى الميادين ، فهو مدرّس سابق ومدير متقاعد ، وباحث في أصول الخط العربي وأدابه ورجاله ، وكاتب لفصول متعدّدة في المجلّات المشرقيّة خاصّة ، ومحاضر في المنتديات العربيّة .

جاء كتابه هذا في وقت محتاجه مدينة قلبية ليكشف عن تاريخها المعاصر ويلوّنه بالكلمة والوثيقة ، فاذا نحن نتوقّف عند محطات لم يسبق الكتابة عنها من قبل ، عرّفنا بالصراع مع سلطات الحماية ودور البايات في دعم الإنحلال الأمني ، وتوقّف بنا عند الفنون والآداب والأعلام ، فاذا المتتبّع لهذه الحقبة الحسينيّة يكتشف ما كان لقلبية من دور أدبي ضاع مع الأسف وإذا بالباحث عبد اللطيف يعيده إلينا في أنقى صورة وأبهى تقديم .

هذا الكتاب طبعه المؤلف على نفقته في نسخ محدودة (ألف نسخة) ، أراد به تحسيس المواطنين بقيمة تاريخهم ، وأهميّة الوثيقة العدليّة بالخصوص في إنارة الحقيقة ، فوجد فيه الدارسون ماضيهم القريب ، وقرأ فيه الباحثون جانباً مهماً من التراث الذي مع الأسف اضمحل من الذاكرة فجاء الكتاب وقد أعاد تلك الصورة عن

## إطلالة على تاريخ قلبية في العهد الحسيني

إعداد :  
محمد الصادق عبد اللطيف

الحياة الجماعية تلك في أبعادها  
الحضارية والاجتماعية معا .

يهتم الكتاب بالتاريخ المحلي  
للمدينة ، وهو بمثابة لوحة فنية وإن  
كانت عدة جوانب من هذه الحقيقة لم  
توضّح بعد ولعلّ صاحب هذا  
الكتاب يراجع ما نشر ويثري كتاباته  
أكثر بالوثائق ويتوسّع في الأبواب  
والمضامين ، ويحسن صورة الطبع  
والإخراج .

وقد وعد صاحب الكتاب بكتاب  
آخر ، في التاريخ القديم لمدينة  
قلبية ومعالمها الحضارية وأعلامها

في قراءة جديدة وطرح متجدّد ورصد المعلومة التاريخية وشرحها بالرأي والمقارنة  
والتوثيق من أجل أن يتكامل العمل الأول بهذا العمل الذي لا شك أنه سيكون  
مفيدا ، هو ثنائية تاريخية (في التاريخ القديم والحديث) ، وهو ما تحتاجه المدينة  
ويحتاجه الباحثون ويتطلّع إليه الزكّرون للمدينة .

وما أعرفه عن (عبد اللطيف) تمكّنه من المعلومة التاريخية وحرصه على  
امتلاك المخطوطات وسعيه الحثيث على استجلاء الحقيقة وتتبع تواجدها والنش  
في المصادر بحيث يجعلنا نطمئن إلى عمله الذي نرحّب به ونشني على جهوده  
العلمية . وقد طالعنا في الصحافة الوطنية (بالصباح والحرية ، وشمس الجنوب  
، ، مدى الترحاب الذي لقيه الكتاب من الدارسين ، وحتى في الإذاعات الجهوية  
(بالكاف وصفاقس) وجد الصدى والقبول ، ما يجعلنا نطمئن مجددا لأهمية هذا  
الكتاب ولما سيأتي بعده بقلم هذا الكاتب الذي نذر نفسه ومهجته لخدمة قلبية  
وحضارتها وتاريخها .

# اللغة والكتابة :

## مقاربة أولية

بقم : صابر الحباشة

إذا كان الكلام ينطلق انطلاق التنفس أو في موازاة معه ، فإن الكتابة خنق واختناق ، والتنقيط تبيكيت » وإذا كانت الضرورة في التحول إلى نفس أو كلام تضيق الخناق على المعنى . هو ومسؤوليتنا عنه . فإن الكتابة تخنق الكلام أكثر وتعيقه أكثر أيضا « (1) .

وإذا كان للكتاب قيمة متفردة في مختلف الحضارات الإنسانية باعتباره سجلاً للمعارف البشرية وشاهداً آمناً على الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة ، فإن الفعل المؤسس للأثر الكتابي منوط بعهدة أملاك يدوتون الصحف والعالم الآخر هو عالم النشر كما هو في البيانات السماوية . فالكتابة وزر وحصاد الأعمال هو التدوين والتقييد . إن الكتابة « قلق الروح » (2) .

وإن تمحض الخط للتسجيل التقني يرسم أشكال الحروف على الورق ، فإن فلسفة "ما بعد الهيئوة" تطرح مشكلة تقنية الحرف من زاوية اعتبارها تحتمي بسياج اللامفكر فيه الملفوف في غياهب العتمة إذ الوجود "كتاب مسطور" ، وكان الحبر الذي "يسود" إنما ينقل الورق من شتات المادة إلى قلق الروح . وليس الصوت وحده هو القادر على ثقل هدير الكلام ، بل إن الحرف الذي يتوالى في كلمات تتوالى بدورها في جمل تكون نصاً يجعل من اللغة طرفاً فاعلاً في الخطاب ذلك أن الكلمات المكوّنة للغة متورطة "لها" في صميم الخطاب نصيبها ، نصيب اللهب . إنها ليست محايدة " (3) . وكما أن للقول المنطوق فتنه استعاذ منها الجاحظ قديماً ، فإن للمكتوب جمالية خارجية في الشكل الحرفي لعلها المعادل الفني لحلاوة الصوت على أن للحرف المكتوب عملاً سحرياً يخفف « القلق والعبء » عن

الذاكرة الفردية والجماعية ويقلّ تسرّب ماء الحياة من خلال الجدران الصلبة لنهر "الديمومة" (4) .

وبذلك يتحوّل "الحيوان الكاتب" إلى باحث أهدى عن الخلود واجدا في الكتابة طريقا لتحصيل تلك الغاية . ولما كانت الفنون جميعها ومنها الفنون الكتابية رامية إلى التجريد متوسّلة بالحاكاة سواء في معناها الأفلاطوني ذي الأبعاد الأخلاقية أو في المعنى الأرسطي ذي الأبعاد الجمالية الشكلية (5) ، فإن الكتابة صارت تعادل التفكير وفق أنساق بموجبها تنبني علاقة مع العالم المادي قوامها المفارقة والنقص . فالصورة التي تحفظها الكتابة عن الواقع مخاتلة ومراوغة تعمّي وتحجب المسافة بين الأصلي الطبيعي والزائد الصناعي وكأنّها تلغي الفروق ويظنّ الفكر تائها يتلاشى ملأحا على صخرة الكلمات « إنّه قدر الفكر ينهض ممزقا على نحو مأساويّ مفرّج بين عالم الأشياء والمدركات وعالم الكلمات » (6) .

غير أنّ الفنون الكلامية إذ تهيم على سائر الفنون هيمنة اللسانيات على سائر علوم اللغة ، فإنّها تمتاز في طفرات غامضة ، فتلتقي بالفلسفة حيناً فتكون « الكلمات هي الحيز الذي يعلّق فيه الوجود عن هويته مستترا متكتما على نفسه كما يقول هايدغر » (7) <http://Archivebeta.Sakbri>

وكما تلبس الكلمات جبة الفلسفة فتنشئ علما بالوجود ، فإنّها ترتفع في مقامات تترقّى عبرها متجاوزة حجب الأرض إلى مرايا الآفاق تلتمع فيها « الحروف علامات نارية في السماء » (8) . إنّ لها حضورا خلّابا ساحرا لهاثقل المادة وتكاثفها وقمايز العناصر ولطافة الروح . إنّها تنزل على الأرض فتخرّ الجبابة ساجدين وتكون قانون السماء وهي تحكّ في العقول فتكون خمائر العلوم وقوادح الإبداع ، حتّى المحو يتحوّل إلى كتابة للفراغ ، للفضاء الخاوي من الدلالة بأنواعها فهو أقوى من سرّ مكتوم لأنّه لا يرحى فضحه فهو فوق طاقة الحقيقة وأكبر من أن يظوله الإدراك .

إنّ وطء النّقد للواقعة الأدبية ناجم عن افتراشه إيّاها على بساط المعنى وإن هو إلّا شرك يوقع النصّ في دائرة الفهم والإطار الهرمينوطيقي ومهما استحسنت شرائط النّقاد وانقادت إليهم النصوص طوعا أو كرها ، فإن أسئلة التأويل ستظلّ

قناديل موقدة مهما حاول المفسرون والمؤكرون أن يغرقوا النص في ظلال التفسير الواحد والتأويل الواحد ففاتح النص قديكون مغلقه إذ هو يقرأ بفهمه المسبق انطلاقاً من عالمه الخاص . وكما أن تعدد التفسير يحول دون فورية الإيمان بالنصوص المقدسة ، فإن ضرورة تعدد التفسير للنصوص الأدبية لابد أن تسبق بتعاطف معها قائم على محاورتها ومداعبتها ومرادوتها عن نفسها وإن كان الغنم ليس وفيها دائماً . ويمكن التأسي بهدف الهرمينوطيقا لأنه يفتح الباب أمام إغناء النص وإثرائه لا تفكيره وتقليص سطوته بوقفه على جملة من المعطيات المحدودة مهما كانت أصيلة أو واقعية . إن « هدف الهرمينوطيقا هو تجاوز مجرد النقد وتأويل النصوص لتؤشر إلى تأسيس نظرية عامة للإلهام » (9) . فأنواع النقد البنيوية وغيرها من المناهج هي مفاتيح للنصوص بدأ يعلوها الصداً لذلك فهي قد بدأت تعجز عن أداء وظيفتها طالما أن مختلف فروع البنيوية استشعرت وقوفها في العراء وقد قاربت خلفياتها المعرفية والفلسفية التداعي والسقوط من ذلك أن « بعض البنائية وما يسمى نحو النص والعلامات والتفكك صور مختلفة للسعي الحثيث الواثق نحو القوة ، والقوة في رأيهم هي التبع الحقيقي للنشاط البشري » (10) . لا يخفى أن بعض المراجع الفلسفية لهذه المدارس والممارسات النقدية مستندة إلى قراءة للفكر الكانطي قام بها نيتشه في القرن التاسع عشر وعاد دريدا في هذا الثلث الأخير من القرن العشرين إلى كانط وقد نسب إلى مفهوم المخيلة « القدرة على التوسط أو التركيب بين الروح والنص » (11) ويرى جون روسيه « أن تاريخ الشعر الحديث يكامله قائم في إبدال لغة تعبير بلغة خلق ... على اللغة أن تنتج العالم الذي لم تعد قادرة على أن تعبر عنه » (12) . وبذلك تدخل اللغة دور الإنتاج والصناعة والخلق إنها « صناعة تفكيرنا ونظامه » (13) . فكانت الذي لا يميز أصلاً بين الحقيقة والجمال ويرى أن المخيلة هي فن في حد ذاتها ويقول عن المخيلة إن لها « إمكانات كبيرة لخلق طبيعة ثانية انطلاقاً من المادة التي تمدها بها الطبيعة الفعلية » (14) . من هنا نقف على تماثل بين نوع من المحاكاة عند أرسطو وبين رؤية دريد للخلق اللغوي فمحاكاة الجوهر عند أرسطو تجعل من الشعر أفضل من التاريخ « فالشعر شيء أقرب إلى الروح

الفلسفة من التاريخ وأرفع منه إذ أن الشعر يتجه إلى التعبير عن "الكلي" بينما التاريخ يعبر عن الجزئي» (15) .

أما الخلق اللغوي عن دريدا فهو « خلق لا يدل على شيء آخر سوى النفاذ إلى الكل » (16) على أنه يجب الإلحاح أن الكل الفلسفي عند أرسطو يعني الإمتلاء والقبض على الجوهرى والإمساك بالأساسي في حين الكل الدريدي هو عبارة عن حالة شعور فالكاتب الكلي هو "الكتاب عن لاشيء" ، هو الفراغ . فخروج الكلمات منحيز الوجود إلى حيث الموجود يجعل من قناة التوصيل (الغم عند النطق والقلم عند الكتابة) دليلا سياحيا لتعود الفلسفة/الكلمة « مباشرة إلى بنوعها الخاص » كما يقول فيورباخ الذي يضيف « ليست اللغة بشيء آخر سوى تحقيق النوع البشري » (17) . وهكذا يتجاوز الطرح الأرسطي القائم على شطر اللغة نصفين : أحدهما مستوى شعري فني وآخر تاريخي تقريرى لتتصدى اللغة باعتبارها جوهرها كلياً لتشكيل عنصر التاريخ سواء صيغت في شكل فني أو غير فني. غير أن دريدا يجعل مركز الشغل في اللغة المكتوبة دون المنطوقة . إذ اللغة الأثيرية « تنسى نفسها » (18) . كما يقول ، فالعلاقة صميمية بين الكتابة والأرض ، لكن دريدا كما ناقش فيورباخ يمكن أن تناقشه فهو يعتبر أن التدوين هو الضامن للتاريخ في حين يعتبر التشكيل الأثيري للكلام ضياعاً وتلاشياً ، والحال أنه تناسى وسائل الاحتفاظ العصرية عبر التسجيل السمعية و السمعية البصرية للكلام ، فالشريط المسجل كالكاتب حافظ أمين للغة . ولعل الشريط أكثر أمانة إذ هو يسجل الكلام كما تلفظ به أي كما أعجز في حين أن الكتابة تفترض إمكانيات أكثر للخطأ أو الزلل أو الزيف أثناء ممارسة القراءة (وكأن في ذلك إقراراً ضمنياً بأن سماع الكلام المنطوق أبسر من قراءة الكلام المكتوب) على أن ذلك يظل نسبياً ، فوسائل التقييد تتطور تطوراً مذهلاً بيد أن الكتابة تبقى أقدمها وأبسطها بل وأقدسها أيضاً ؛ إنها فعل تشيئي تبشيري في آن وهي إلى ذلك إبحار في المجهول (لا تنسى فك رموز الهيروغليفية وما أورثه من ثورة في معارف الإنسان عن العصور القديمة) .

ويحذو أمبرتو إيكو حذو فرديناند دي سوسير عندما يذهب إلى اعتبار علم العلامات فرعاً للسانيات ، فايكو في معرض إشارته إلى مركزية الحدث اللغوي



في الثقافة بلوَح بتفرّع سائر الأنظمة العلاميّة على النظام اللّغوي وهذا يجعل من اللّغة أُمير وسائل التواصل وأكملها « إِنَّ اللّغة هي في الحقيقة أسس الثقافة نفسها وبالعلاقة مع اللّغة فإنّ كلّ الأنظمة الأخرى للرّموز لاحقة ومتفرّعة » (19) .

إنّ مقارنة اللّغة والكتابة مقارنة نظريّة عامّة يمكن إثراؤها بالإنفتاح على مجال تداولي أو سياق تداولي ينظر بموجبه إلى جدليّة الكتابة التي تفترض فعلا موازيا قربنا لا يكاد يفارقها هو القراءة . ونعني بالسّباق التداولي أنّ فعل الكتابة هو « فعل مواجهة بين موقفين : موقف الكاتب وموقف القارئ » (20) .

وإذا كان الكاتب ينزع إلى « إثبات صدق تفكيره وصوابيّة رؤاه ومسعاها الحثيث في مدار الإقناع والإمتاع والإستمالة » (21) . فإنّ القارئ يعمل « على مبدأين أساسيين هما مسعاها في الكشف عن خفايا النص وتفسيره ثم تأويله في النتيجة » (22) .

إنّ من الإتجاهات البراغماتيّة ما ينزع إلى الكشف عن الأعمال اللّغويّة حيث يتطابق الحدث اللّغوي مع الحدث الفعلي . وهذا جانب من اللّغة يكرّس أهميّة الكون الذي تنشئه اللّغة كما يعكس خطورة القوّة الإنشائيّة للغة باعتبارها قانونا صارما يشرّع لا التّفكير والتواصل فتحتب بل للسلوك القولوي الحياتي المعيش كذك .

يبقى التّفريق التّمثيلي بين المكتوب والمنطوق من مشاغل علماء النص ، وإن تباينت أحكامهم في ذلك « النص هو حديث تثبته الكتابة » كما يقول بارت في حين شرط الكتابة ليس مطلوبا عند غيره ، وقد اشترطها لأنّها مشحونة عنده بقيمة الاختيار « الكتابة هي ممارسة للحرية » (23) . ويعطي دريدا للكتابة أولويّة حتّى على اللّغة فالأولى متنوّعة كالكتابة الرياضيّة والكتابة الصوتيّة فضلا عن الكتابة الأبجديّة. إضافة إلى ما يلتصق بها من معنى حرفي يدلّ على الموت (يقال في الفرنسيّة : Lettre morte ) واستنزاف الحياة ، أمّا المعنى المجازي فيشير إلى « الكتابة الطبعيّة الإلهيّة والحية وهي تكون موضع تمجيد : إنّها في جدارتها أصل القيمة وصوت الوعي بما هو قانون إلهي والقلب والشعور إلخ .. » (24) .

## الهوامش :

- 1 - دريدا ، جاك : « الكنية والإختلاف » . ترجمة كاظم جهاد . ط 1 . الدار البيضاء . دار توبقال للنشر ، 1988 . ص 139 .
- 2 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- 3 - اليوسفي ، محمد لطفي : « الشعر والشعرية » تونس الدار العربية للكتاب . 1992 . ص 98
- 4 - درويش ، أحمد : « الكلام الجميل بين المتعة والفائدة » مقال ورد في مجلة "عالم الفكر" الكويتية . المجلد 25 . العدد 2 . 1996 . ص 192 .
- 5 - الماضي ، شكري عزيز : " في نظرية الأدب " . ط 1 بيروت : دار الهداة . 1986 .  
« يرى أفلاطون أن كلّ الفنون قائمة على التقليد (محاكاة للمحاكاة) » ص 18 .  
« يرى أرسطو بأن الشعر نوع من المحاكاة (...) وإذا كان أفلاطون قد عمّم مفهوم المحاكاة على كلّ شيء في الواقع أو في العالم الطبيعي، فإن أرسطو قد قصر مفهوم المحاكاة على الفنون » ص 33 .
- 6 - اليوسفي " الشعر والشعرية " . ص 99 .
- 7 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- 8 - دريدا ، " الكتابة والإختلاف " . ص 166 .
- 9 - دويوي ، برنار : مادة " هرمينوطيقا " في الموسوعة الكويتية باريس 1990 .  
Bernard DUPUY article : Hermeneutique in Encyclopædia universalis - Paris 1990
- 10 - ناصف ، مصطفى : " اللغة والتفسير والتواصل " . الكويت ضمن سلسلة عالم المعرفة . 1995 . ص 161 .
- 11 - دريدا ، جاك : الكتابة والإختلاف " . ص 136 .
- 12 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها (في الهامش) .
- 13 - ناصف : اللغة والتفسير والتواصل " . ص 132 .
- 14 - دريدا : " الكتابة والإختلاف " ص 137 .
- 15 - ستولنيتز ، جيروم : النقد الفني : دراسة جمالية وفنية " . ترجمة فؤاد زكرياء . القاهرة : مطبعة جامعة عين شمس . 1994 صص 167 . 168 .
- 16 - دريدا " الكتابة والإختلاف " . ص 138 .
- 17 - المصدر نفسه ، ص 140 (في الهامش) .
- 18 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- 19 - إيكو ، أمبرتو : " تحليل اللغة الشعرية " فصل مترجم ضمن كتاب " في أصول الخطاب النقدي الجديد " . ترجمة أحمد المديوني ، ط 2 . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة . 1989 . ص 85 .
- 20 - البقاعي ، شفيق : " مفهوم النص في اللسانيات الحديثة " مقال ورد في مجلة " الفكر

العربي " - العدد 85 ، 86 السنة 17 ، 1996 ، ص 152 .

21 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

22 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

23 - فالانسي ، جبريل : " النقد النصي " فصل في كتاب "مدخل إلى مناهج النقد الأدبي " .  
ترجمة رضوان ظاها - الكويت : ضمن سلسلة عالم المعرفة - 1997 ، ص 234 .

24 - دريدا : " الكتابة والاختلاف " - ص 117 .

**ملاحظة :** قلنا في العنوان إن هذا العمل "مقاربة أولية" لأننا لامتناخوم  
المسألة دون التعمق في مباحثها الشائكة ، وقد كان تركيزنا على المرجعية الغربية  
واضحا رغبة منا في مواكبة المستجدات الفكرية الراهنة . على أننا نشير هنا إلى  
نقطة اشتراك بين دريدا إذ يعتبر التشكيل الأثيري للكلام ضياعا وتلاشيا ، وابن  
سينا إذ يقول "والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم ، فتكون فيه مع خفته  
فائدة وجود الإعلام به مع فائدة انفعائه " ( ابن سينا : " الشفاء : العبارة " تحقيق  
محمد خضير ، القاهرة ، 1970 ، ص 2 أورده عادل فاخوري : " علم الدلالة  
عند العرب : دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة " ط 2 ، بيروت ، دار الطليعة ،  
1994 ، ص 34 ) .

كما نرى تمييز ترابانت Trabant بين اللفظ والكتابة أساسيا ، إذ يفرق بين  
العلامة الفعلية أي الفعل الدلالي Zeigehandlung كاللفظ مثلا والإشارة أو أي  
حدث دالّ وبين (...) الماركة أو الدمغة Marke وهي العلامة المستترة المتحققة  
بكلّ أجزائها معا كالكتابة بعد حصولها وإشارات السير والشرائط المسجلة وما  
أشبه . فتختصّ الأولى بالإعلام المباشر وتفيد الثانية الإعلام البعيد في الزمان  
والمكان " .

(أورده عادل فاخوري : "علم الدلالة عند العرب" ص 34 ) .

# القصيدة العربية من أين تأتي وأى فاعلية ترتجي .. ؟

بقلم : مريم كافية

الحديث عن الظاهرة الشعرية هو بالضرورة حديث عن مجالات تطوّر كتابة القصيدة العربية ومدى تماسكها بطابعها التقليدي ومواكبها لمتطلبات العصر . وقد يكون الكشف عن جمالية القصيدة العربية ودلالاتها رهين كلّ فكر واع وكلّ قراءة معمّقة ولكن لحظة الولادة الأولى رهينة خالقها فحسب فكيف هي لحظة مكاشفة الشاعر لذات الشعر ؟ وما تكون علاقة الحداثة الشعرية بالتراث الشعري وفيه تتجلى فاعلية القصيدة العربية جمالياً ودلالياً ؟ .

ARCHIVE

http://archivebeta.sakuni.com

## 1 - لحظة مكاشفة الشاعر لذات الشعر :

لعلّ الحديث عن النص الشعري الحديث هو حديث عن نظرة تأمل للعالم وطريقة حضور وفاعلية فيه وها هنا تبرز قيمة الشعر وتتجلى أهميّة القصيدة وها هنا أيضا يولد التساؤل عن القصيدة ...

فمن أين تأتي القصيدة ... ولكن من أين تأتي القصيدة ؟ (1)

إن إلحاح سعدي يوسف في السؤال عن مصدر القصيدة وعجزه الواضح عن حلّ لغزها لدليل على عذاب معاناة لحظة ميلاد الحديث الشعري .

فالذات الشاعرة كثيرا ما تعيش آلام لحظة المكاشفة .. لحظة ولادة النص الذي لا يقنعه إلا تحويل خالقه إلى "شعلة نارية تتقد بين البشر" (2) فحتّى بعد تجاوز خطورة هذه اللحظة والتمكّن من خلق القصيدة وانتزاعها من رحاب الصمت يظلّ الشاعر يعاني الحيرة والقلق فهو عاجز عن شرح القصيدة وفهمها .. الأمر الذي جعل محمود درويش يعلن عن حيرته قائلا :

أحاول شرح  
القصيدة كي أفهم الآن ...  
كنت أحلمها ... كنت أحلمها  
والتقينا أخيرا  
أحاول شرح القصيدة كي أفهم الآن ماذا حدث ...

إنَّ كلَّ جسد لغوي ينطلق من الذات الكاتبة ليعود إليها أو إلى وحدة الذات الفاعلة أو اللافاعلة في الكون ولكن ليس مناليسر أن تتمثَّل هذه الذات لرغبتها في الكتابة وفي القول الشعري ممَّا يجعل الشَّاعر يعيش مع القصيدة كوعد وحلم إلى حين تحيِّنه بشكل مباغت (3) وتتملِّكه "كيوم بلا ميعاد" (4) فهي تتأجَّج داخله وتمزَّق روحه وتحجى وتختفي كالبرق ولا أحد يعلم متى تكون النَّاية لتخلق البداية ... متى ينتهي كلُّ هذا العذاب لتكون القصيدة . وليكتب الشَّاعر صمته ويشعل اللُّغة ويؤسِّس الحدث الشعري ويشرِّع ميلاد القصيدة العربية الحديثة .  
لقد أقرَّ "أرباب الأوهال" الشعراء في كلِّ عصر ومصر عن رهبتهم وخوفهم من لحظة المكاشفة ... لحظة خلق القصيدة التي تولد الآن ، ولكونها لا تصل (5) ولكنهم في النهاية كسبوا الرِّهان وكتبوا النص إثر النص واحتفلوا بالقصيد تلو القصيد وأعلنوا بكلِّ ثقة أنَّهم شعراء ... أجل شعراء بتحقيقهم لإبداع ، باكتشافهم لكلِّ مألوف وارتفاعهم فوقه وإكسابهم الشعر ذاتيَّته وهويَّته .  
وها هو شاعر المرأة وشاعر الحب يعلن "إنِّي شاعر قرَّر .. أن يشعل اللُّغة " أمَّا محمود درويش فأنه يقول " أنا شاعر يكتب صمته " .

إنَّ التقنية والجهد هما اللذان حقَّقا سرعة سعدي يوسف إذ يصرِّح " إن كنت حقًّا شاعرا بفضل الله أو الشيطان ، فأنني شاعر بفضل التقنية والجهد " في حين يعلن الشابي " أنا شاعر وللشَّاعر في الحياة مذاهب تخالف قليلا أو كثيرا مذاهب النَّاس فيها " .

ليس غريبا أن يكون الشَّعر ديوان العرب إذ كثيرا ما ساهمت وتساهم الظاهرة الشعرية في تحريك الكون ومحاولة حل إشكاليَّاته فالشَّعر بنية لغوية متميِّزة له

دلالة وفاعلية وحضور في العالم ماضيا ومستقبلا .

ولعلّ هذا الدور الذي يحضى به الشعر في العالم العربي هو الذي يجيز القول بأن القصيدة العربية تعيش عصرها وتفعل فيه من أجل النهوض به ومساعدته على تجاوز مشكلاته وتحقيق تقدّمه . وها هنا بالذات يولد الإشكال المتمحور حول القصيدة العربية وعلاقتها بالتراث والحداثة فهل أنالوفاء للأصل والتنكّر للمعاصر هو الذي يحقق التواصل أم أن إشعاع الشعر العربي المعاصر وخلوده لم يكن إلا نتيجة لاستقصاء التراث الشعري ؟

## 2 - القصيدة العربية إستقصاء للتراث الشعري :

قد تعني كلمة تراث مرحلة شعرية معينة ولكنها لا تعني بالضرورة التخلي عن هذه المرحلة ونسيانها .

فصحيح أننا نعيش الحاضر وتحيط بنا الحداثة من كلّ جانب ولكن الأکید أنّه لم يكن لتكون حادثة لو لم يكن تراثنا ولأنّ الظاهرة الشعرية في حاجة إلى التراث فإنّ الذات الكاتبة تسعى إلى تجاوز التراث الشعري لأنّ في ذلك تطوير خلّاق له فلا هو بالتقديس له ولا هو بالتجديد للنفس البشرية في حدود الماضوية فالشاعر الخلاق وكما يقول أدونيس في حديث عن موقفه من ظاهرة التراث الشعري هو " الذي يبدو في نتاجه كأنه طالع من كلّ نبضة حيّة في الماضي وكأنّه في الوقت نفسه شيء يغيّر كلّ ما عرفه هذا الماضي " .

المعلوم أنّ القصيدة العربية المعاصرة خرجت عن السائد وغيّرت في النسق الخليلي ولكنها لا تزال تكتب ضمن التفعيلة الخليلية فيكون بذلك تجاوزها للتراث الشعري ليس إلا تطوير له وبحشا عن إمكانيات جديدة وحديثة للتعبير الشعري فمن حقّ المبدع بل من واجبه أن يبتكر إلى جانب العبقرية الخليلية آفاقا أخرى تغني اللسان العربي والموسيقى العربية " (6) .

لأنّ الحدود قيود فإنّ القصيدة العربية المعاصرة حاولت إدراك الشعر خارج بوتقة القوالب الجاهزة التي وضعها الخليليون فالأكید أنّها " تبدأ من التّراث لتستغني عنه وتتجاوزه إلى نفسها فتصبح مرجع ذاتها " (7) . وهي بهذا تعلن عن

إمكانية خلق تراث جديد في الحاضر كفيل بتحرير العالم من حتمية الرجوع إلى الموروث القديم .

إن إبداع قصيدة عربية معاصرة لا يتحقق إلا بالأخذ عن التراث الشعري وتجاوزه غاية في التجديد والتحديث وخلق بنية لغوية ذات بعد جمالي وفاعلية جمالية ولكن أبحر الشعر الحديث الرأهن وبحوكه إلى رمز فقط من أجل تحقيق فاعلية جمالية أم يتجاوز ذلك ليكون النص الشعري ذو فاعلية دلالية تشير المعرفة والوعي ؟

### 3 - القصيدة العربية بين الفاعلية الجمالية والفاعلية الدلالية :

إن الحدث سواء كان سياسياً أم ثقافياً أم اجتماعياً ليس غاية آداته الشعر إنما هو وسيلة يستخدمها الشعر من أجل الحديث عن المسكوت عنه بلغة ليست ككل اللغات . فإبداع النص الشعري هو في الوقت نفسه استقصاء للكانن بالكشف عن خفاياه وترميز للواقع .

والشعر ليس غاية في حد ذاته بمعنى أن ولادة الجسد اللغوي ليست غاية الشاعر. وإن كان هذا الأمر يهم خالق القصيدة باعتباره مطالب بأن يتكلم بلغة غير لغة العامة وأن يبتكر جسدا مغايراً يميزه الوزن وينفرد بالقافية . الأولى إنما غايته الحققة هو أن يفعل بهذه البنية اللغوية فعل "المهدي المنتظر" . إن الفاعلية الدلالية للقصيدة فضلاً عن فاعليتها الجمالية قادران على التأثير ومن ثمة التغيير .

فبالقصيدة قاوم محمود درويش المستعمر وأضحى قائدا للشورة الفلسطينية فكان وحده القادر على التحدي معتداً بهويته منتصراً للذات العربية .

سجل ... أنا عربي

.....

جذوري .

قبل ميلاد الزمان رست .

تنادي بقيم التمسك بالأرض .

أبي فلاح وجدي كان فلاحاً .

.....

ولكنني إذا ما جعت .

أكل لحم مفتصي .

حذار .. حذار .

من جوعي ومن غضبي .

وبالشعر كشف المتنبي عن حبه الكبير لسيف الدولة ووفائه له بالرغم من الجحود  
والنكران .

يا أعدل الناس لأنني معاملتني فبك الخصام وأنت المحصم والحكم

.....

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

ولقد ناضلت القصيدة العربية مع أبي القاسم الشابي ضدّ الإستعمارالفرنسي  
وتمكّنت من إقناع الكل بأحقية البقاء فكان أن ردّد الجميع على لسان الشابي :  
سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء  
أما نازك الملائكة فإنها لم تجد غير النص الشعري ليحتضن عاطفتها وألمها  
وتمرد هافهي ليست إلا :

طفلة ترنو إلى الشاطئ عبر النظرات .

وترى العالم يهرا مغرقا في الظلمات .

تتجلى إذن القصيدة العربية المعاصرة بما هي رؤية واقعية وصياغة شعرية فهي  
السعي بين الفن الجمالي والشعري الدلالي وهذا التكامل بين المجالين هو الذي جعل  
من الشاعر العربي عنصرا فعّالا في حركة النضال والإضافة على المستويين  
الذاتي الإنساني والقومي العربي .

---

الهوامش :

- 1 - سعدي يوسف : المجموعة الكاملة .
- 2 - أبو القاسم الشابي : المذكرات .
- 3 - نزار قباني : قصتي مع الشعر .
- 4 - بدر شاكر السياب : ديوان أنشودة المطر .
- 5 - محمود درويش : عن مجلة الكرمل .
- 6 - أدونيس : في قضايا الشعر العربي المعاصر . دراسات وشهادات .
- 7 - محمود أمين العالم : في قضايا الشعر العربي المعاصر . دراسات وشهادات .



# قراءة في كتاب "طعم الأناناس"

## ل: مسعودة أبو بكر

بقلم : سنية الحاج عياد

تقول مسعودة أبو بكر في تصديرها الوارد على لسان فريديريكو غارسيا لوركا "أريد للصّور التي أستمدها من شخصياتي أن تفهمها الشخصيات نفسها، وتقول على الوجه الخلفي للكتاب بانعة الحمص... طفل ما بعد الحصاد... أريقون... الكلبوسي... ماسح السيارات... الهدية... كلّ هؤلاء أنا وأنا هؤلاء..."

إنّ هاتين القولتين تؤطّران العالم القصصي الذي تنضوي تحته كتابة مسعودة أبو بكر. إذ تفترض القولة الأولى لقارسيا لوركا أن تتماشى شخصيات القصة مع أفكارها فتنتقل إلى تجسيد عيني بواسطة القصة وداخلها وذلك ما يستدعي بدوره مقولات ثلاث ستحدّد تحليلي هذا وهي <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أولاً مقولة استقلال الشخصيات وتستدعي بدورها مقولتين اثنتين هما مقولة الحرية ومقولة المسؤولية.

مفهوم الإستقلالية :

وتعني المقولة الأولى : فتح المساحة النصيّة أمام الشخصيات لتؤنّس عالمها القصصي المتقيّد بذاتها وهوما يعني الإستقلال الجزئي عن السارد أو الكتابة وقد عملت مسعودة أبو بكر في كتابها هذا على الحفر داخل الشخصيات بأن فسحت لها مجالا ركيحاً تتحرك فيه وتحدّد ملامحه بنفسها فلم تعد الأشياء خاضعة لتصرّف الكاتبة بل أصبحت تتحرك وفق قواعد ذاتية تنكشف عبر جملة أفعال توحى بفاعليتها كأن تقول مثلاً : «أبادي طويلة الأصابع والأظافر تنقضّ على الأشياء في حق» « وتنفرج شفتاها عن صوت مبحوح » «والفستان القديم يلتصق به التصاقاً» . فيبدو واضحاً أنّ الكتابة تنزع نحو تتبع تفاصيل الجسد فتورثها الحركة التي هي في الحقيقة من صنع الساردة إلّا

أُنتا في هذا الكتاب نجد أنفسنا أمام ملامح وأبعاد ووجوه بما فيها من تفاصيل تنزع نحو التحرك بذاتها على نحو من الإستقلالية في بناء العالم القصصي . وكأن هاته الشخصيات تنجز أفعالها عينياً في علاقة متزامنة مع القارئ وهو ما يوهم بالواقعية . هذا البحث الأساس في نصوص مسعودة أبو بكر .

إن هذه الظاهرة الفنية تبرز من خلال الجمل الإسمية المقتضية في الوصف ولعل الكاتبة تسعى بذلك إلى تجنب إطالة حضورها كساردة فسرعان ما تنفلت منها الأشياء في حركة زئبقية ترتد بها نحو ذاتها لتصف ذاتها كأن تقول "البرد يغزو جسمها فغلبة الجمل الإسمية على الوصف على ذلك النحو من الإقتضاب يجعل من النص منكمشا على ذاته وكأنه لا يريد البوح بما تبوح به الشخصيات ذاتها لذلك تغلب الحوار الباطني على الوصف . إذ تكثف هذا الحوار باعتباره قطبا تدور حوله عملية إحياء الشخصية من الداخل وبالتالي منحها فرصة أن تقصي الكاتبة بارادتها فتقيم علاقة آنية مع الأشياء المؤنثة للأقصوصة ومع القارئ تبعا لذلك كأن تقول "أرغمت على سرك بين ضلوعك"

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتظهر هذه الإستقلالية كذلك في مستوى الزمان والمكان إلا أنه من الغريب أو لعله من الطريف أن المكان والزمان لا يأخذان حيزاً نصياً مخصوصاً فلا تعنى الكاتبة بتتبع تفاصيلهما إلااماً . وكأنها تحاول تقريرهما ضمن مطوي الكلام فيفهم القارئ أن ذلك الفعل القصصي ينجز في القرية أو على مشارف الميناء ... وكأن العالم الذي تبنيه من خلال الشخصيات يستعبد بذاته عن أي ما تدخل آخر من الكتابة : والشخصيات هي التي تطبع المكان والزمان بسماتها وليس بالعكس لذلك تراهما مفعولين بهما لا فاعلان فتقول: "تختبئ عند حائط أعيد ملاطه حدياً".

عن هذه المفاهيم السابقة استقلالية في مستوى الحبكة فيغدو هذا المقوم الفني نتيجة منطقية لكل ما سبق فهو حتمية لما سميت به بالعالم الفني المستقبل فالنص يبني ذاته بذاته من خلال فعل الشخصيات نفسها وبارادتها فمفهوم الإستقلالية إذن هو مفهوم ترك أثره على المقومات الكتابية لمسعودة أبو بكر غير أنه لا يجب

أن نفهم عن هذا المفهوم أن أقاصيصها هذه تنزع نحو التجريد إذ لا معنى للإستقلالية من النص دون فعل في الواقع .

### مفهوم الحرية :

أقصد بالحرية هنا حرية الشخصيات والأشياء في إنجاز أفعالها فلعلنا لا نحفل بتفاصيل الجسد خاصة تفاصيل الملامح في هاته النصوص دوغما حد أدنى من الحرية يخول لها إنجاز المنشود على أحسن وجه .

وهو المفهوم المركزي والمحوري في كل الأقاصيص المؤتفة لهذا المؤلف إذ نزعته الكاتبة في جل أقاصيصها إلى تسميات رامزة موجبة لشخصياتها فركزت على جملة أسماء أهمها الهادي والنوري وصابر ... هاته الأسماء مبنية على صبغة أسماء الفاعل . فالفعل هو مجاله الحقيقي ... فكأن الشخصيات لم تخلق في هذه النصوص سوى للفعل إذ الفعل هو مجاله الحقيقي فالفعل هو ديدنها وهاجسها الأوجد ... فلئن حاولنا إقامة علاقات بين هذه الأقاصيص فائنا نظفر بجملة استنتاجات لعل أهمها :

- انتماء أبطال هذه الأقاصيص إلى الطبقة الكادحة الشعبية التي تسعى إلى تحقيق عيشها على نحو أفضل فمثلت كل أقصوصة وجهة مخصصة لعملة واحدة . ففي كل أقصوصة يحاول البطل أن يتجاوز فعلا يتنهى بعائق يحول دون تحقيقه . وهو ما يمثل العقدة في هاته النصوص وكأن الكاتبة هنا تجرّب مفهوم السعي والفشل المؤقت عبر أنواع مختلفة من الإنتماءات الفئوية ضمن طبقة شعبية واحدة. هذا السعي وهذا الفشل يغدوان مفهومين وجوديين فيهما يتعدّد وجود الشخصيات ضمن موضوع كتابي معروف هو التقابل بين الوجود والمنشود والطريف في هذا الكتاب انتهاؤه بأقصوصة طعم الأناناس التي مثلت اختزالا نصياً للأقاصيص السابقة بما حملته من هواجس وطموحات وأحلام مشروعة أحيانا ولا مشروعة أخرى وفقا لزاوية النظر .

فطعم الأناناس مثلت الأفق الرّحب للشورة . فلئن قنعت الشخصيات السابقة بواقعها رغم غليانها الداخلي ضده . إلا أن الفعل كانجاز ملموس وواقع لم يتحقّق إلا في الأقصوصة الأخيرة التي مثلت الغاية الأساسية من تأليف هذا الكتاب . وكأن الكاتبة تدعو في النهاية إلى تجاوز الحلم نحو التجسيد الفعلي وهو ما وسّم كل أقاصيصها

بضرب من التناؤلية أي التناؤم المجسد في الواقعية التسجيلية التي أنتجتها  
الكاتبة في كتابتها والتساؤل باعتبار أن كل أقصوصة تنتهي بضرب من  
المفارقة ( paradoxe ) تجعل المجال مفتوحا أمام الشخصية والقارئ على السواء  
لإنجاز إنجاز الفعل ولو تخلف .

### الاستنتاجات :

فيما يتعلق بالكتابة القصصية عند مسعودة أبو بكر دالا ومدلولا .  
- على مستوى الدال : أولا : نزع الكتابة نحو التبسيط في العبارة وكأنها تحاول  
تطبيق مفهوم المثقف المندمج الذي يكتب لأكبر عدد ممكن من القراء على اختلاف  
مستوياتهم التعليمية . فنصوصها لا تخلو من الترميز والنزوع أحيانا إلى تجميل  
الصورة . كأن تقول : " والقرية تشهد زفاف الشمس إلى مخدعها جاء فارس على  
صهوة حصان أبيض يحمل صندوقا من الأبنوس مزخرفا بالعسجد » وتوظيف  
بعض الأساطير كأسطورة الغراب .

- ثانيا : التنوع في كل أقصوصة للتحقيقات الفنية التي تنطرق من خلالها  
للموضوع المقترح .

- على مستوى المدلول : إن الكتابة تحمل نصوصها هموم واقعها المربعي فهو  
تصور تجارب رسخت في ذاكرتها في فترات الطفولة وذلك لا يعني أن هذه  
النصوص تمثل إخبارا تسجيليا عنها وإنما تنطلق الكتابة من حيّز مرجعي  
مخصوص هو القرية حتى أننا نراها لا تتحرّج بين أن تقيم علاقة مباشرة بينها  
وبين ملفوظ نصها ضمن أقصوصة من قريتي هذه العلاقة المباشرة توظف لغاية  
أساسية وهي الإيهام بالواقعية وهو ما ينضوي ضمن مقولة الكتابة لأجل الشعب  
أو الفن للشعب . فمسعودة أبو بكر تعتبر أن الكتابة لابد أن توظف أولا وأساسا  
في خدمة غايات محدّدة تؤمن بها هي وتحاول تقريرها للقارئ وقبل كل شيء  
لشخصيات أفاضلها ذاتها .

أخيرا يمكن القول أننا لا نتعامل في نصوص مسعودة أبو بكر مع شخصيات  
عينية مجسدة بقدر ما نتعامل مع مبادئ وأفكار تتشكل أجسادا تتحرك لتنجز  
وتحلم لتفعل .

# أضاءات على الفنون التشكيلية

## بدولة البحرين

بقلم : منير بن يونس

قبل البدء :

نواصل عبر مجلة الإنخاف تسليط الضوء على التجارب التشكيلية العربية والعالمية .. أولاً لإيماننا بوحدة الهم الإبداعي لدى الفنانين العرب .. وثانياً لإعطاء أصدقاء الإنخاف فرصة الإطلاع على منجزات أشقائهم في الهوس الفني والثقافي ...

وإذا كنّا في مثل هذه الملتقى نعتزّدهم على الأصدقاء الفاعلين في الحقل التشكيلي لمُدنا ببعض النماذج مشكورين ، إلى جانب ما يتوفّر لدينا من مراجع

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

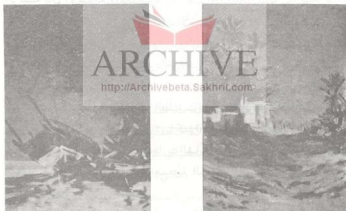


سواء كتب منشورة أو مجلات ثقافية مختصة .. لهذا قد نكون مقصّرين في حق بعض الأسماء التي لم تصلنا نماذج من أعمالهم . وليس شيئا آخر . وعزّا لنا رحابة صدر هذا المنبر الثقافي العربي الذي تبقى أحضانه مفتوحة لكلّ ما هو إبداع صادق ... من الماء إلى الماء ( من الخليج إلى المحيط ) .. حتّى نحقّق التّواصل الإبداعي المنشود . ونحن دائما نأمل بلوغ أهمّ المحطّات الإبداعية لمختلف التّجارب العربيّة والعالميّة .

وفي هذه المصافحة إطلالة على نماذج من الفن التشكيلي البحريني المعاصر وعلاقته بالتراث .

في البدء :

ونحن نفocus في ما يؤثثه الفنّان التشكيلي البحريني سواء في الرّسم أو



النّحت أو الخزف ... كانت صورة "دلمون" بأحقابها "زبوسودرا" أو الرّجل الذي أنقذه "انكي" إله الحكمة والمياه العذبة وعلمه بناء طوف خشبي للنّجاة بنفسه من الطوفان ... طففت ملحمة جلجامش البطل السومري .. وكيف خدعته الحيّة ذات سبات لتأكل زهرة الشّباب .. وتحرم الإنسان من الخلود . جزيرة صغيرة حجما لكنّها كبيرة بتاريخها وحضارتها .. فكيف يتعامل الفنّان البحريني اليوم مع تراثه ؟ ..



وكيف يرى منجزات الفن التشكيلي العالمي المعاصر ؟ هذا ما سنحاول البحث عنه في التجارب التي بين أيدينا . وساعدنا في جمعها الفنان محسن التيتون رئيس جمعية خزافي البحرين .. مشكورا .

### الرّيشة بين الأصالة والمعاصرة :

إنّ تأثر الرسّام البحريني في السنوات الأخيرة بالمذاهب الفنيّة العالميّة كان جلياً في عديد التجارب التي اطلّعنا عليها .. وذلك لاحتكاكه بهذه التوجّهات سواء عن طريق البنايات العالميّة التي تقام داخل وخارج البحرين .. أو عن طريق خروج الفنّان البحريني بأعماله إلى أقطار متعدّدة للتعرّيف بتجاربه .. هذا إضافة للدراسات الأكاديميّة التي يقوم بها الطلبة سواء في الولايات المتّحدة أو فرنسا أو مصر وقد يكون لكلّ هذه العوامل دوراً كبيراً في ما وصل إليه الفنّان التشكيلي بهذا القطر .. وخاصّة منها التجارب الشابة التي تحتضنها عديد الجمعيات الفاعلة في هذا القطاع على غرار جمعية البحرين للفنون التشكيلية وجمعية خزافي البحرين .

### النّحت والخزف بين الشكل الحديث والروح التراثيّة :

ليس من باب الصدفة حضور الرؤية أو الرّوح التراثيّة في أعمال خزافي ونحاتي البحرين .. خاصّة أنّ هذا البلد مازال محافظاً على تقاليده وحرفيته الشعبيّة في هذا المجال وتواجد عديد المهنيّين والحرفيين الذين مازالوا محافظين على الصّناعات التقليديّة للمواد الخزفيّة أو النحتيّة إلى جانب تواصلهم مع صناعة زحف النّخيل . كلّ هذه العوامل أثّرت على الحضور المتمدرس للنّحات أو الخزّاف ... رغم

محاولات الخروج إلى الشكل التجريدي والبحث على رؤية جمالية تتجاوز الفن المستهلك إلى ما هو جمالي وموضوعي وهي رؤية يتضح أنها مازالت في بداياتها وتتطلب من رباّدي هذه الرؤية مزيد التعمّق .. وقد تأتي هنالاحديث عن جمعية خزانة البحرين التي كان للإتحاف فرصة التناقد مع رئيسها الفنان محسن التيتون عقب زيارته الأخيرة لتونس لتمثيل بلده في الأسبوع الإعلامي الخليجي بتونس .. ذاكرنا لنا الدعم الذي تقدّمه وزارة شؤون مجلس الوزراء وعلى رأسها الأستاذ محمد ابراهيم المطوع من أجل الخروج بهذا الفن من المحلية إلى العالمية . إلى جانب تعدّد فضاءات العرض والجمعيات .. ممّا جعل الجيل الجديد في طريق معبّدة من أجل تقديم أقصى ما يمكن تقدّمه لفنّه دون أن يتجاهل تاريخ (ديلمون) . أو الإسم القديم لدولة البحرين . الزّآخر بابداعات العصور المتعاقبة وقد تكون المعروضات التي يزخر بها المتحف الوطني شاهد على الكم الهائل من التراث والحضارة خاصّة تلك التي يعود تاريخها إلى ما قبل 40.000 سنة ، أي أواسط العصر الحجري .

إضاءات لونية :

من التجارب المتوفّرة لدينا في مجال اللوحة تجرّبة كلّ من عبد الكريم البوسطة وهو رسّام من مواليد 1940 شارك في بينالي القاهرة الدولي الأوّل والثاني والثالث والخامس ، أقام عدّة معروض فردية ومعارض جمعية البحرين للفن المعاصر الداخلية والخارجية منذ سنة 1980 .

عبد اللطيف مفيز من مواليد 1950 متحصّل على بكالوريوس فنون تشكيلية . جامعة بغداد . أقام معرضاً خاصاً بتشيكوسلوفاكيا سنة 1991 ، شارك أيضاً بمعرض أصدقاء الفن "تونس 1987" وبنالي القاهرة 1984 حاصل على جائزة وزارة الإعلام سنة 1972 ، وجائزة معرض السنتين 1984 بالكويت .

حامد البواسطة من مواليد 1972 عضو جمعية البحرين للفنون التشكيلية شارك في عديد المعارض الخاصة والجماعية داخل وخارج البحرين منذ 1987 وهو معرض المؤسسة العامة للشباب والرياضة وصولاً إلى معرض 1997 بالكويت .

خالد محمد الطهمازي من مواليد 1970 متحصّل على دبلوم تحليل النظم . عمّان . شارك في بعض المعارض في الأردن ، معرض جمعية البحرين للفنون التشكيلية بالقاهرة 1991 .





# ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>



## في النحت والخزف :

من الأعمال المعتمدة في هذه الإضاءة وأغلبها لأعضاء جمعية خزافي البحرين وهي الأعمال المتوفرة لدينا لكل من صفية العلوي ، جميلة الصباح ، ضوية سعيد ، عبد النبي عبد الرحيم ، توفيق سعيد نصيف ، غادة عباس ، عبد الله البواسطة ، عبد الجليل الراشد ، سلمان التيتون ، محسن التيتون ، عبد الكريم البواسطة ، عبد الرسول الغائب . وكلها نماذج تعطي صورة واضحة للتجربة النحتية والخزفية على أرض " دلمون " هذه التجربة التي تنهل من عمق الحضارة والتاريخ البحريني روحا ومن منجزات الفن العالمي المعاصر شكلا ... باحثة عن رؤى جمالية وتعبيرية تستحق البحث والتفنيد .

## الخط والتجريد :

إن إخراج الخط من الدائرة التقليدية الجامدة إلى فضاءات تعبيرية هاجس لا يحمله الخطاط البحريني فحسب إنما أضحى متشرا عند أغلب الفنانين العرب .. وذلك بتقديمه برؤية تجريدية انطلقت من السبعينات وما يزال الإختلاف مطروحا بين من يرى فيها مساسا بالقيم الجمالية للحرف العربي وبين من يرى في الحرف والتجريد رؤية أكثر جمالية وإبداعا .

<http://Archivebeta.Sakhnif.com>



وقد تنخرط التجربة التي بين أيدينا الآن للشَّاب عبد الشهيد خمدن في هذا الخط الإبداعي المنشور بين الخطَّاطين العرب والذي تأثرت به بعض التجارب الأروبية سبق وأتينا على ذكرها ونحن نتناول تجربة الرِّسَام التونسي محمود قفصية .  
وقد قدّم عبد الشَّهيد خمدن عديد المعارض الجماعية بكلّ من البحرين ، الكويت ، إيران ، عمّان وهو عضو بجمعية البحرين للفنون التشكيلية .



\* وبعد ...

نأتي إلى نهاية الإضاءات التي حاولنا خلالها تقديم بعض المحطات للتَّجربة التشكيلية بدولة البحرين .. هذه التجربة التي يعسر الإلمام بها والإتيان على مختلف التجارب الفاعلة في هذا المجال وكان بوجدنا لوتوفرت لنا نماذج لكلّ من جمال عبد الرّحيم ، والشيخ راشد بن خليفة وأحمد باقر وإسحاق الكوهجي وغيرهم لكن قد تتاح لنا فرص لاحقة لمزيد التعريف بعشاق الخلق والإبداع بهذا البلد العربي وبغيره من الأقطار التي تشهد حركية متميزة في مختلف مجالات الإبداع .

## \* قبل الختام :

من التجارب التونسية التي بدأت تفرض حضورا متميزا في المشهد التشكيلي وقدمت عديد المعارض الخاصة والجماعية داخل وخارج حدود الوطن نجد تجربة الرسامة نزيهة المغربي .. فما هي أهم المحطات الإبداعية في تجربتها ؟ وكيف تتعامل مع الريشة والألوان ؟ إلى جانب أحلام الطفولة الأولى والفواصل بين المكرفونات والكميرا وعالم الريشة والألوان ... تلك هي محطات القادرة عبر صفحات الإتحاف .



# كَانَ ... لِي ...

شعر : عَبْدُ الدَّمِيدِ كَرِيفٌ - تَوْنَس

كَانَ لِي بَيْتٌ .....  
عَلَى شَبَّاحِهِ وَرْدٌ وَأَعْشَابٌ .....  
وَفِي بَيْتِي .....  
سِرِيرٌ مِنَ الْخَشَبِ .....  
وَأَوْرَاقُ مَبْعَثَرَةٌ .....  
وَبَعْضٌ مِنَ الْكُتُبِ .....  
وَمِثْرَاءٌ مَكْسُورَةٌ .....  
وَجُزْءٌ مِنْ بَقَايَا شَمْعَةِ التَّعْبِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ .....  
يُوَاجِهُ بَابَهُ الشَّمْسُ .....  
وَخَلْفَ الْبَابِ .....  
رَسْمٌ لِيَطْفُلٌ دَامَعَ الْعَيْنَيْنِ .....  
وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي مَسْكَنُ الْأَقْمَارِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي مَرْتَعُ الْأَطْيَارِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي غَايَةُ الْأَزْهَارِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي كَانَ مَا كَانَ .....

# إذا غبت عنك

شعر : عادل الهمامي

إذا غبت عنك فلا تسأليني      لأنَّ السؤال يشير أنيني  
فلا تفتحي في نهر الدَّموع      ولا تسألني عن فؤادي الدِّقن

إذا غبت قللي : سيأتي حبيبي      وتأتي المواعيد حتَّى المغيب  
وإن طال عنك غيابي أعيبي      فلومك عني يزيد حنيني

إذا غبت قللي لكل العذارى      حبيبي حضور بقلبي أنار  
وإن كان طيفه عني توارى      فاسمه رسم علا بالجبين

إذا غبت قللي لكل العباد      حبيبي سيأتي برغم السَّهاد  
ويعضي نقاء بظلَّ الفؤاد      وظلُّك أنت أريج السَّنين

إذا غبت قللي برغم الجراح      سيأتي حبيبي لصدَّ الرِّياح  
ويعضي ضياء كوجه الصُّباح      فيصنع عمري من الياسمين



## تجاويف

شعر : محمد العرفي

- 1 -

... في قلبي امرأة  
تأكل تفاحة روحي !  
ولما

تشبع ، تينع  
تلعن في ..  
جموحي !!

- 2 -

... في قلبي طفل  
يترقق كالكمات !  
أشطبه ،  
فيعود حثيثه  
وملحاً  
كالخطوات !!

- 3 -

... في قلبي بلد  
يعرج يعرج  
حتى تاه !  
حاولت أعلمه المشي  
... فأضاع  
خطاه !!

- 4 -

... في قلبي شعر  
متعال ...  
متعال ...  
قلت : انزل  
ليراك ،،  
قال : فليصعد ..  
لأراه !!!

## محاولة في أنا النقطة

نهر : أديب كمال الدين

– العراق –

أنا النقطة

أنا بريق سيف الأصلع البطين  
أنا خرافة الثورات وثورات الخرافة  
أنا معنى اللامعنى وجدوى اللأجوى  
أنا دم أخذته السماء ولم تعطه الأرض  
أنا بقية مَنْ لا بقية له  
أنا الفرات قتيلا ودجلة مدججة بالآثم  
أنا ألف جريح

ونون فتحت لبها لمن هبّ ودبّ .

\* \* \*

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.net>

أنا النقطة

أنا خرافة العصر وسرته  
بحثت عن اسمي لم أجده مع الهراقة  
ولا مع الزنادقة ولا العبادة  
ولا مع الرهبان ولا الكرادلة  
ولا مع المهزومين ولا المنتصرين  
ولا مع المتمترسين ولا المهاجرين  
ولا مع الطبّالين ولا اللصوص .

\* \* \*

أنا النقطة

فيّ احتوى العالم الأكبر  
والأكمّ الأفدح  
فيّ اختفت ابتسامة الطفل وحفيف الشجره



فِي أَخْتَفَتْ مَوْجَةُ الْبَحْرِ وَنَدَى الرَّبِيعِ  
فِي تَجْمَهْرِ الْمَاضِي  
وَخَرَجَ بِاتِّجَاهِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي مَظَاهِرَةِ حَاشِدَةٍ .

\* \* \*

أَنَا النُّقْطَةُ

عَرَفْتُ الْحَقِيقَةَ وَعَجَنْتَهَا بِيَدِي  
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْكَلِمَةِ  
وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقَمَرِ  
وَقَبْلَ أَنْ يَبْتَكِرَ الْمَقَابِرَ الْجَمَاعِيَّةَ  
بَلْ إِنَّنِي عَرَفْتُ الْحَقِيقَةَ عَارِيَةً  
عُرِّي هَابِيلَ وَقَابِيلَ

فَأَعْطَيْتُهَا مَلَابِسِي الْمُنْتَوْبَةَ  
وَرَعْبِي الَّذِي أَتَّسَعُ فَشْمِلُ أَسِيَا الطُّفَاةَ  
وَأَفْرِيقِيَا الْمَجَاعَةَ

ARCHIVE  
http://Archivebeta.com  
وَأَمْرِيكَا الْأَعَاجِيبَ

أَنَا النُّقْطَةُ

أَنَا مِنْ يَهْجُوكُمْ جَمِيعًا  
أَيْتَهَا الْحُرُوفُ الْمَيِّتَةُ  
سَأَهْجُو نِفَاقَكُمْ وَسَخَطَكُمْ  
سَأَهْجُو أَكَاذِيْبَكُمْ وَتَرْهَاتَكُمْ  
وَكِفَاحَكُمْ مِنْ أَجْلِ الْأَفْخَاذِ وَالسِّيَاطِ وَكُؤُوسِ الْعَرَقِ  
...

مَا أَشَدَّ حَزَنِي  
مَا أَعْمَقُ دَمْعَنِي الَّتِي وَسَعَتْ أَلَامُ الْبَشَرِ  
مَا أَعْظَمَ زَلْزَالِي وَخَرَابِي الْكَبِيرِ  
أَنَا النُّقْطَةُ .

## ثورة أحلامي

شعر : علي بن صميدة

غدا أزيح ضباب الحزن عن عيني  
غدا أنفي مرأيا الحور والعين  
وأضرب الرمل بالرمل وأنسرح  
الجهد جهدي وأنا للماء والطين

حرّانا مالي ينازعني القيد  
هذا جمري أكلبه وهذي تلاويني  
سنت الناس ، قساة وأهلهم  
أشروأجرم ، فعل الشياطين

سأسير في فلك النجى لأحتمي  
بأسوار حلمي وأرتقي بيقيني  
ابن اليوم أنا ، أزرع حلما  
وابنيه للورى من عمق تفانيني

فلا تجمدني أيد القساة ولا  
روائح الهوى في الجئات تعينني  
سأبني لذاتي سكنا تؤثتها  
روحى الجديدة وأرواح الملايين

بنو النور نحن والهدي والمعالي  
فلا مزارع خضرا إلا لمساكينني  
ذاك أمسي أودعه فليس مني  
غدا أجوب دروب الكون لتكوينني  
فلا يحطمني شر الخصيم ولا  
معاسف الخلق في المحضور ترديني  
ولا يعتمني حقد الغريم ولا  
حريق النار في الأعماق يكوينني .

## العبور إلى عالم القلب

شعر: سمير تهيمش

من أين يأتي ذلك الإحساس الغامر ؟  
هذا الذي أعثر عليه للحظات مشرقة  
هادرا في أعماقي ..

مصطخبا على الرمال البيضاء ...!!  
فتنتفح بين طياتي توار يخ  
وينكشف الغطاء عن حضارات ترقد متعانقة بداخلي  
وتترأى صور كانت ضائعة عني  
وتتخفى أساطير انتقشت منذ البدء

على ضلعي الأول ...  
تقاوم الإمحاء في غناد أزلتي  
وتتلالا على ضلعي الثاني حروف سومرية  
فأقرأ : .. قرطاج وبابل وتدمر ..  
وكانني اكتشف للأسماء لأول مرة  
وتلوح على ضلعي الثالث أشكال وهينات لا أعرفها  
يلزمها وقت أطول من هذا ...  
أفتح باب القلب وأعبر  
ثمق رانحة صحراء

وبخور خيام  
... أقف مبهورا لأرى نفسي  
لاكتشف أسرار سطر . سطر  
وينهض الزمن أمامي من قممه  
يفتح أبوابه لأدخل في صمت إلى رنة الأرض  
أحصي كنوزي البدنية .

12 نوفمبر 98

# كبرياء

شعر: الهادي العثماني

لنا دربنا ... واحتراف الرحيل ،  
وبعض المنى ،  
والشجي والغناء ،  
لنا شوقنا ،  
يكبر في الصهيل  
يوشحه الورد والكستناء  
ونحن الذين ...  
تعلمنا كيف نوقع لحنا  
وننسج فيه حرير الكلام  
وكيف نلبي ...  
إذا ما دعينا ، وشب النداء  
ويوحي إلينا ...  
فنشدوا القصائد خضر القوافي  
وتعلو المواويل ،  
يهفو المساء  
إلى الأغنيات التي تنمو فينا  
يوقعها العشق فصل الربيع  
وتهفو لنا خيلنا والنساء ،  
تعلمنا كيف نسلّي الجراح  
وكيف نصلي ، ونعلو الرياح ،  
عرفنا تفاصيل بوح الفصول  
وتهنا كثيرا  
كما تاه من قبلنا الأنبياء  
ولما رمانا النوى بالذهول  
تسامت بأرواحنا الكبرياء  
تعالى ...  
فكل النساء ، هنا كادبات

وإنني كرهت نفاق النساء  
تعالني ، فأنني أحبك جداً  
ولكن لي في الهوى كبريائي  
وأنت فقط ...

لي طريق الرّحيل  
ولي فرحة تختفي بالفصول  
تلائم طعمالمني وأشتهائي .  
أصديق عند الجوى حلمتيك  
وأحضن نهديك رمانتين  
وأحرص حلما بدا ، باعتناني  
تعالني ، أوسدك ليل الغرام  
وبالأغنيات أهدهدك ...



نامي  
وسمي انجباس الذمّوع إبائي  
وسميني حين أصلي نبيا  
يسقه رهطا من الأدعياء  
وضميني أشد القصيد صبيّا  
أغني ، فيلهو الهوى في غنائي  
وأرعى الخباء بخيمة عشقي  
لنغفوخلف ستار الخباء  
تعالني ، فكل النساء سراب  
وكل المواعيد قد دمرتنني  
وكل الأمانني عداك خراب  
تعالني ...

ليسري الشذى في دمايني  
فأنك أحلى ، وأشهى النساء .

القصر الجديد في 4 أكتوبر 98

# احتفال ...

شعر: الحبيب دريال

... وتحفّلين بهذي الأصابع تدنو وتبعد  
بلون الصّباح تغلغل في مقلتيك  
فلم يبد لون غريب  
ولم تكفهر عيون آخر ،  
فبعدك لن يركن الياسمين إلى راحة  
العظماء ،  
ولن يلج الطفل فردوسك الفدّ ،  
فهل يتوجّه في آخر لحظة نحو أبشع  
وهم ،  
يفكّكه أملا أملا ،  
وظلالا تعانق جلاسه الطيّبين ؟



# الشاعر

شعر : محمد العائش القوتي

الإهداء : إلى روح الشاعر العربي الكبير نزار قباني

.. الشاعر يقرأ فاتحة للموت ..

يعاقر لوعته .. ويكرّر دعوته الأولى :



من يرحل في الكلمات ..

من يصيح للجسد المغلول هيلولى ..

\*\*\*



أحيانا أفتح أروقتي للشمس ..

يفاتحنى الوطن المتوحش بالشجن

الشتوي ..

امديدا ..



يتسلل من بين يدي ..

وطن أخضر ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يرحل في الأتواء ..

\*\*\*



أحيانا ..

أتمدد فوق شريط الظل ..

أطلّ من الشرفات ..



أراكم أحبابي ..

وبأيديكم كفن أبيض ..

يأخذه الرجل «الشاعر» ..



ويغرّ الشاعر ..

يهرّب .. يهرّب .. يفرقه شجن كافر

شجن من نوع آخر ..

## ألف عام من أورشليم

شعر : الصحبي العلوي

لم يبق في الحقل غير ألواح ريشاته  
وهذا الرنين  
يعابث سوسنة في السقوح  
لقد نرجس الطل على عشب هذي البراري  
ندى وشذى  
لم ينتش غيره الأقحوان  
يكسو الرصيف ضياء  
كانت توسده بالهزيج  
أنغام هذا الصبا  
\* \* \*



ARCHIVE

<http://Archivebeta.org.ukhri.com>

جمعوا كل شظاياهم  
كان الطقس مليارات أسعاف  
تهدهد بقايا أجران مسلوخة  
العويل يضح أخزاناً رومية  
تخلق أبناء الحية حول فراخ النار  
تمتص مآق جرباء  
اكتظ باعة الأنباء أفواجا  
كانوا يعتصرون أحاسيس صراصير الليل  
جمعوا كل شظية  
\* \* \*

في ذلك الحال الأبدى  
يترنح نسر مجهول الأزمان  
آيته أورشليم  
في دمه الصخرة تتضمخ  
على الجبل الشامق تمتد جوانحه  
الفا من الأعوام  
والنسر ماهر  
ألف من الأعوام والنسر خوافيه تنز  
تجبل أرباضك



يا اورشليم غناء  
\* \* \*

في غرفة من دم  
يخطط الأطباء شكل الحدث  
يا ألف عام من الجس  
وذي البدلات البيض مذبوحة  
وهذي العيون مكدودة لاتنام  
تفتش عن لون هذي الصحيفة  
وتمسح عنها ارتعاش المباح والمشرطة  
\* \* \*

حانت اللحظة  
من ... يقرأ الآن ...؟!  
حنجرة هذا التقرير فحيح  
من يرطن هذي السموم  
أعد أيها الباث

انتظر صوته .. انتظر هامعه  
وجاءت بحمله قينة من سعار  
لأن التورم ما ترك في شفتيه كلام  
ضمدت خزيه ثلاثيف الخاف  
كنا عرفناه حين ذكرنا "يهودا"  
علامته "غزة من سدوم"

حرك أنفاسه لم يكن غير رعاف  
من يقرأ الآن ...

قبل تجف هذي المآقي من القيح  
وقبل تطير إلى "برمسيوس" الفراخ  
تكفكف أكبادهم بالدجي  
وتطلق من ألف عام  
ترانيم ، كم خمرتها الليالي  
\* \* \*

من يقرأ الآن ...  
لتنكشف الدروشة  
يا أيهذي الدراويش  
كم تحذقون صنع التصاوير مطلية بالجذام  
تمامك من بعد أن ...  
شد طاوية بعقال  
وجاء ليقرأ الصفحة

مرة هذي الحروف ... لم ؟  
مدبوغة بدماء الدوالي  
التي نبتت في قرار الممرات والارصفة  
\* \* \*

مشروخة أسنان هذا ...  
أم طحنت أنفاسه أسرار هذا الورق  
ترنح قبل أن يسيل اللعاب  
على شاطئ من حروف الدم  
ثم قال : ...

الرأس تاج من الرعد أحجاره لا تعد  
بلقىس شعره تنائر رمانة كل صوب  
وساحت سلاف يواقيته

كم راودت زيزفون الحدود

سليمان عينه صمصامة

سليمة أجيال زيتونة

من غرس يوسف

أحلامها لا تحب

اسمه وأبل تستقي منه أمواجنا

زكام البرامج عند المساء  
\* \* \*

تأرقت بمنظر ما علق الشاشة

هذي الأرائك

إزدحم في جوفه الصبر والحر

منذ تقمص شكل عدوه

فاحت حمياه

كم هي مطبوخة من ستائر مخضوبة بالبغاء

غير سكة شاشته ...

عبثا

كان يفتش عن مرفئ للرياح

فيه يكدم من ورم الذاكرة ما يشاء

فلم يكن ... غير صورته

النسر عال

وتصفع أحداقه صحوهم

عبير دماء



ثمّ تحاصر .. كم .. بالعدا  
مقاديمه الشاخنة لا زوردا  
رفوف مكاتبهم  
وتنخر رفاته صمتهم  
ويعلو بعيدا ... بعيدا ...  
\* \* \*

حين ذكروا اسمه إكفهرّوا  
وانهمرت أحداقهم  
لم يبق غير الشجى والسعار  
ولكن ريحان ذا الناصري رقص  
وضج المسار  
وانطلقت أرصفة الآس والياسمين  
ومالت شقيقات قوس قزح  
وساح العبير

ونيلوفر يهدر يا إمام  
وصوب بيتهو فن أنغامه في السماء  
فحطت ترانيم داود  
عصافير

تلحم هذا الهيام  
وتعصر فوق الزهور سنابل  
تطوق أبوابها اورشليم  
ويسرح نسر الزمان ...  
ويحفر إسفلت هذا الوفاق  
يحف بريشاته  
بقعة من دم أخضر  
علقت زجاج هذي المدينة  
وصارت تؤرق أرواحهم  
في الكرى  
في ذلك الحال  
جفت الشاشة  
وأدلهم الضياء .



# بقايا لمستها الأخيرة

شعر : خالد رداوي

من هنا إلى نهاية السهو  
أبحث عن شقوق تسكنها أنفاسي  
وأحاكي شكل أصابع ترتعش  
لتلمس فراغا يبدك نشيده النّهاني  
وتلك الخطاطيف

تهرب حين يعود الموج  
من بكاء يستأنس بهوائين  
فلا شيء على وجهي  
سوى بقايا لمستها الأخيرة ..

وهمستها التي تشرب براءة الياسمين  
وتكسر بلور هجعة الغياب في حضورنا  
لا شيء خارج دوائر الغرقى  
سوى آهات الغيهب المسحور  
والمكان مذعور بسديم الصمت  
وأنا محاصر باللغة والتاريخ  
أصرخ تحت الماء  
ليضمّني البحر إلى ألوانه السكرى  
بالقول المخروس  
وعلى جوعه المنحوت أمشي

وراء نهايتي الأولى  
لتشبهني الصفحة البيضاء  
\* \* \*

هي الأرض  
موت للموتى  
وقمر لطفولة السواد  
سينتهي النهار بلا مساء  
والحب بلا أسماء  
والوطن بلا أسماء  
والنور الذي كان يأتي  
سوف لن يأتي



ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والربيع سوف يجالسه الشوك الكثيف  
والحلم غارق في التفكير  
وأنا مغمَّغ بين موتين  
أحلاهما موت  
\* \* \*

ثانية يفاجئني الموت  
في بركة الحبر البعيد  
فأرسم القديسين قلبي المجهول  
ها أنذا أراه ينام فوق المستحيل  
ليحرق الشرق  
تقائيل الحب المذبوح  
في بطن من أحبيتها زمن الشروخ  
لتطرَّز سهوها حلما  
معلقا بين عذابين ..

.. من يوقف هذا التزييف  
يعزل أكفان الآتي بريق  
منقوش على قبر العاشق المنفي  
.. من يذهب إلى أمي  
ويبحث عن وجهي في صدرها  
ويفتش عن تفاصيلها داخلي  
وينتظر ولادتي في هدهدت الهدنة  
هنا أو هناك ...

لكن أنا مريض بالحب  
ووحدي أموت في أعماقي

وأصبع يدي بدم طفولتي  
وأدخل في حلم خلف

سما قرطاج

وأشتهي زهور الوطن الخجول بحمرة خديها

وأنا مصعوق بالماضي

والحاضر يزحف

خلف قفصة الأولى والأخيرة

والآتي أقوى من شروخ هذا الصمت

وحفيف الزهيرات

تنوج قلبي بحتف قريب

تقبّلني

ثم تحطّ كالعصفور فوق جسدي

المحموم

أغمرها بدفتي

أدخلها فراديس قلبي

أحتاجها  
ليدثرني ربيع العانة حين يغمرنى الحريف  
لا شيء ينقذنا من الموت  
سوى نهـد محبوس في قبر الراكعات  
لا الجملة تعيدني لحجمي العادي  
لا الردف يحل لغز الإشتها  
لا الموت الهولي  
أنا في هدأة الأشياء  
أنام في وردة تنعطف إكليلا  
بين فخذين ...



\*\*\*

لا أحد كان  
لا أحد سيكون  
والنبوءة الضائعة  
مصوغة بالحبر والنبيذ  
والقيامة الأخرى في منفاها الإختياري  
تموت مثلنا  
بلا أكفان  
والأعياد تولد من لعناتها ..  
فما فوق قلبي غير جرحي  
ولا تحت قلبي سوى تعريشة باكية  
وما أنا إلا بعض موت تهدك  
فلا الرّسم يفضي إلى نجمة في السبيل  
لا الشكل يغيّر قصدهم

لا الموت يدحرجه الغياب  
.. قل أنا خيبة تستجد بحيرتي  
أم خيمة لرياح الرأجلين  
سوف أمضي إلى العراء المشتعل  
لا نظفي  
بحريق ينام في  
سوف أموت قبل أن يكتمل البدر  
.. وأنام  
أنام ما بيني وبين توددي  
وأقول سلاماً لمساء يمر على جثتي  
ويعانق الأطراف عندي  
وأعود ما بين صمتي ورجع الصدى  
أنأى بظلي وهو يهرم قنطرة  
وأجيء من خلف الصبابة هائماً  
لأتهادي بين لونين بلون النار  
وعمانين بلون الماء  
وأخزفني بحرقتي  
ليشكّلني الطين بين يديك تمثالا  
من العراء الفضيع  
وأتركتي هناك وأمضي إلى الميئة القادمة ...



## سفينة العودة

شعر : نفيسة التريكي

يد الشهيد في يد الشهيدة

فم الرضيع من بدء القصيدة

بداية أكيدة وموجة جديدة

وسفرة عسيرة ، طريفة ، تليدة

والأحجية

صهيلة المياه والشفاه

والمقاصل العديدة

تزلزلت ، تزلزلت

والمدعي بالبالد

تهلhel بطل الرواية البليدة

يد الشهيد كيد الشهيدة

بحر أخرس ما في ذخائر المكيدة

حشيش البر مزارع مريدة

والناظور يدور ، يدور ويدور

ينور المسالك المجيدة

يد الشهيد من يد الشهيدة

عتاد وعدة عتيدة

وقلب الوالدة يرف للولادة السعيدة

يد الشهيد بيد الشهيدة

ذي الإنطلاقة السديدة .

## تشيع زهرة الياسمين

شعر : رسول عدنان  
العراق

إلى حيث لا أدري  
تقف اللحظة مدهوشة بالإنفعال  
تصطف الأوقات والأزهار  
ترتدي الحداد الغائب  
عندئذ  
تحزم الرائحة توريثها  
من أنوف المارة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhi.com>

طوابير من ملامية المحو  
\* الورود - الوقت - الشوارع  
العزلة - جيب السعيد بالتأناة  
من يسجي هذه الشيطانة الرائعة ..؟

علينا أن نحزم العزلة  
ونلقي مفاتيح القبر  
في مستقبل أفل

آه يازهرة الياسمين  
من يدلك على مأتم العانس ...؟  
كي ترسلني بريدك الذهبي  
إلى أنفي المزكوم  
بالغوغاء

في هذا الشارع  
العشاق يغلفون القبلات المتطايرة  
بسعادة مقننة  
وأنا أتملى ثوبك البهي  
بالأشواك والأنوثة

\* \* \*

أنت يا شيطان القبر  
دعها تكمل الأمنية  
ودعني أربت  
حضانها المفخخ

\* \* \*

صحب اليك  
يلف البعد  
يتركني بلا سعادة بيضاء

\* \* \*

زهرتي تحمل إيمانها  
بشبق مؤجل  
تعلق رائحة أنوثتها  
على شجر خائر

\* \* \*

في أيلول وحيدا  
أهزم الأوقات  
وأطلق الغيمة  
من نافذة أخرى .

## اذكريني

شعر : رندة الهلالي



اذكريني ...



نغما حائرا



بين عزف الخلود



وترنيم قراهب مسكين



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أزهار النيسان



وطيورا رجعت بعد حنين



آه ... تحطمت أمواجك



على صخور الحياة

وضباب الأسى والأنين

وتفتقت

بذرة زنبقتك البرية

وسط حقول الماضي

وحصاد السنين



## شعر : سالم المساهلي

فليس لنبض المسافات حد  
ينوء بها العابر المستجد  
وسوف، وكيف، وهل، ثم وعد  
يوقونه ليس يحصيه عد  
وغالبه اليأس مما يود  
وللعشق عرفة : وصل وصد  
فذي الأرض فيها سلام وبرد  
حين وداء وحب وود  
ستجملك فيها صقور وأسد  
وفي ناظريه هيام ووجد

ألا أيها العاشقون استعدوا  
وللعرب دهر من الأمنيات  
وللعرب لو، ثم كان، ولت  
ولكن وعد المجدين دين  
فيا حائرا ضاع منه الدليل  
ترقق فللقانيات دلال  
ودع عنك ثوب الضنى والوجوم  
وللموطن الخرف في كل قلب  
بأرضك فاسعد وعش مطمنا  
أيا تونس المجد هذا فتستاك

\*\*\*\*\*

وحلم الطفولة والأغنيات  
وأنشودة في سماء اللغات  
تقلب فيها ترى المعجزات  
ويزهو بعشقه للباسقات  
تداعبها أمل النسمات  
تجوب به الطير كل الجهات  
تفرع بالبشر والأمنيات  
ويا من جمعت جليل الصفات  
أيا جنة الله في الكائنات  
لطيف ، عليل من الله آت  
يروى العطاش ويحيي الموات

لتونس كل الجمال البديع  
وسوسنة من صميم الربيع  
ووحى لطيف من الله أتى  
ففي تونس البدر يختال فخرا  
وفيها سنابل كالوج سكري  
وتحكي الجداول مجدا ثيلا  
وزيتونة أصلها ثابت  
أحبك يا روضة الياسمين  
أحبك حتى ضفاف الجنون  
فلا شاب تونس إلا نسيم  
ولا زارها غير ظل وغيث

# أطياف الموت

بقلم : منيرة رزقي

انتصبت الشمس في كبد السماء ...

دقّ الجرس إيدانا بخروجنا من الفصل . يكاد يكون خاليا من التلاميذ . تأبطت حقيبتى المدرسية وأسرعت المسير حتى لا تفوتني الحافلة .

وقفت في المحطة أنتظر ، أحسست بحرارة تسري في بدني . الطقس ساخن رغم أننا في أواخر شهر فيفري .

ها هي الحافلة ، أخيرا تتأقاع الأجسام ، أجد نفسي مدفوعة في زمرتهم دون أن أشعر .

أنفذ من الزحام لأجلس جلستي المفضلة قرب النافذة .

تسرع الحافلة ، أسرح عيني . يمتد أمامي بساط أخضر من الأشجار الغابية والجبال التي تعانق السماء وتلتحم معها . كان الرومان على حق عندما استهوتهم مرتفعات مدينة الكاف فاستوطنوها . لكن لشيء ما في نفسي بدت لي الأرض ملتحقة رداء كتيبا .

ما إن نزلت حتى اتجهت عيناى صوبها . كنت على امتداد سنين أمر من هنا دون أن يثير في وجود هذه المقبرة شيئا ولكن في الأيام الأخيرة أصبحت أتمسّر في مكاني كلما وقعت عيناى عليها . وقفت أتأمل لعلي أرى قبرا جديدا .

قلت لنفسي بصوت مسموع :

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، لا ، لا يمكن أن يموت شخص ويدفن في ظروف أربع ساعات لقد تركته بخير عندما خرجت . أطياف الموت تسيطر عليّ والأفكار

السّوداء تنقر رأسي مثل غريبان جائعة .

تشاقلت خطواتي ، أصبحت أنوء بها وأنا أدخل أطراف شارعنا . لمحت أمام بيتنا حركة غير اعتيادية . تقدّمت ، أحسست أنني ألج كونا غربيا ، لا أعرفه . لم أصفاح الوجوه التي ارتسمت عليها الحيرة واتّجهت صوب غرفته . كان والدي مسجّى على فراشه وقد امتقع لونه واختفت تلك الحمرة من وجهه . تلك الحمرة التي رأيتها على امتداد ثمانية عشر ربيعا .

كانت عيناه مسمرتين في السقف وقد اختفى منهما ذلك البريق الأخضر . كم قلت له في لحظات صفاء ومداعبة : لماذا لم تورثني عينيك الرأعيتين . يبست أطرافني وتجمّدت الدماء في عروقي : هل هذا الرّجل النّحيل والدي ؟ أين اختفت قامته الطويلة الفتية ؟

الموت يخيم على الغرفة ، إنّه في كلّ مكان ، أراه على الجدار هيكلا بشعا مخيفا يسخر ضاحكا ، أراه على الفراش في صورة حيوان أسطوري مربع أغمض عينيه من الهلع .

أفرّ إلى وجه أمي التي ظلّت واجمة تراني ولا تراني . يدها تحضن يده وقد اختفى تالكو الفرح من على وجنتيهما ويدها الأخرى راحت تسقيه كوب ماء .

هل كان أبي يدرك أنّها النهاية ؟ هل كان الألم يقطع أوصاله وهو يودّعنا بهذه النظرات الشاخصة ؟ هل كان يراني ؟

نفذ إلى سمعي صوتها مثقلا بالشجون كأنّه يأتي من بعيد: قبلي أباك يا مريم . كيف توقّف نبضي ؟ كيف لم أرتم عليه منذ البدء وأقبله ؟ انحنيت عليه، وضعت شفتي على جبينه البارد . كنت أركع بخشوع في محراب الأبوة الخالدة .

لعلّ الله يسمعني، لعلّه يشفق على قلبي الذي يتفتّت من الألم والحسرة. سأدعوه . يا إله السّماء لاتدعه يموت ، لأسقط ولتكسر ساقي ، لأرسل في الإمتحان ، لأفقد كلّ شيء . فقط يظلّ والدي حيّا . لأمت أنا إذا كان لا بدّ من الموت .

لا أدري كم من الوقت مرَّ عليّ وأنا على هذه الحالة . لكن يبدو وأنّ انحناءاتي طالَت أكثر من اللازم فأحسست أنّ هناك يداً تمتدّ برفق وترفعني ثمّ تسحبني إلى الخلف .

كلّ الوجوه واجمة إنّها لحظة الإحتضار .

امتدّت يد لتمسح على وجهه ثمّ أسلم الرّوح . انتفضت روحي: أبي لن تموت يا أبي ! رميت نفسي عليه ، التصقت به ، لم يفلحوا في إبعادي ، لن تستطيع قوّة منعي من الإلتحام به والإرتواء من رائحته لآخر مرّة .

كيف ترحل وتتركني بلا سند ؟

تعالَت أصوات البكاء والنشيج . إنّهُ يقتلع من نجبهُم من أحداقنا إقتلاعاً .

\*\*\*

استفقت ، فتحت عينيّ بجهد كبير وكأنتني أجذب في أمواج عاتية ، شيء ثَقِيل يجثم على صدري .

غرفة بيضاء ، ملائكة ناصعة ، نور خافت . هذه أمّي تجلس على حافة السرير . من هذا الرّجل الذي يرتدي البياض ويصطلم لي برقّة ، هذه قطعاً ليست غرفتي . حاولت التلقّف لكنتي عجزت .

قالت أمّي وهي تحاول أن تطيع ابتسامة شاحبة على وجهها :

- هل أنت بخير يا ابنتي ؟

أجاب الرّجل :

- يبدو أنّها بخير الآن .

ماذا حدث ؟ ما الذي أتى بي إلى هنا ؟

ضغطت أمّي على يدي فسرى حنان دافئ في دماغي ثمّ نظرت إلى الرّجل الغريب تستجديه تفسيراً لحالي .

- لاتخافي يا سيّدتني إنّها تجاوزت مرحلة الخطر وستكون على أحسن مايرام .

آه لا شك أنّه طبيب !

هذه الراحنة أعرفها جيّداً وأمقتها ، رائحة الأدوية والتعقيم، يبدو أنّني في



المستشفى .

لم تفلح أُمِّي رسم ابتسامة على شفتيها المتعبتين وشدّت على يدي تحاول أن تتقاسم معي ما أحسّه .

حاولت أن أنطق مرّة أخرى فخرج صوتي ضعيفا كأنّه حشرة .  
- ماذا حدث يا ماما ؟!

همست أُمِّي :

- الحمد لله ... قرّبت وجهها مِنِّي وهي تقول :

- إنَّني بجوارك يا ابنتي ... لا تخافي .

كانت غيبوبة وعبرت .

خشيت أن أفقدهما الإثنين معا .

عاودت سؤالي باحاح :

- ماذا حدث ؟

- لا شيء ، كنت متعبة فجنّت بك إلى المستشفى !

لا شيء ، وهذا الخفقان في قلبي ، وهذه الأطنان التي تهجم عليّ ، وهذا الطعم المالح في حلقي والروائح التي تزكم أنفي والسواد الذي يجلل الأشياء من حولي .

- متى نعود إلى البيت ؟

- قريبا إن شاء الله .

أغمضت عيني كأنّني أفرّ من هذه الغرفة الضيقة البيضاء المجلّلة بالسواد التي وجدت نفسي فيها رغما عني .

فاضت روحي أحزانا وأنا أسير خلف والدتي عائدتين إلى المنزل . أدركت أنّني قضيت ليلتين في المستشفى في حالة إغماء . قال الطبيب كانت الصدمة حادة لم تستطع أعصابي تحملها فأغمي عليّ .

عيناى تسبحان في سواد قاتم ، كيف سيكون بيتنا بعد أن حزم أبي أمتعته ونأى بعيدا .

دلفت داخل الدّكر وكأّنني أكتشف المكان أو أبحث عن شيء ما . أفتش عن بقايا والدي في الأركان والزّوايا .

فتحت غرفته . خَبِلَ إليَّ أَنِّي أراه ممدداً على فراشه مثلما كنت أراه في لحظات عمره الأخيرة . أغلقت الباب بسرعة وتهاويت على أولك أريكة صادفتني . رأيته قبالي يتسم وديعا . ضعت في تقاطيع وجهه المهاجر . أعاد لي ذكرياتنا . - مريم ، هذا ديوان أبي القاسم الشابي ، اقترنيه وسأسمعه منك لاحقا ، أريدك أن تتعلمي الإلقاء .

في هذا المكان نفسه ، كنّا نجلس كلّ مساء ، وكنت ألقى أشعار الشابي على مسامعه . قبل شهور من الآن كنت أقرأ قصيدة في ظلّ وادي الموت ، لم أكن متفاعلة معها قال لي وقتها :

- لا لا يا مريم ليس هكذا لا بدّ أن تكون نبراتك مثقلة بكثير من الشجن والحشوع .  
- لكنني لا أحبّ هذه القصيدة الحزينة ، أمقت حديث الموت .  
إنّه يقول : جفّ سحر الحياة يا قلبي الباكى فهبّا نجرب الموت هبّا .  
- الموت حقّ علينا وينبغي أن نتوقّعه في كلّ حين . توقّعي مثلاً أنّك ستفقديني ذات يوم .

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتنهّد الغرف .  
أنا الآن أمام قدر لا مفرّ منه . رحل والدي ولن يعود . لن أراه مرّة أخرى ولن أعفّر وجهي لحظة وأبكي كالأطفال مثلما كنت أفعل في لحظات ضعفي .

\*\*\*

وقفت على القبر أذرف شذرات نفسي .  
أهكذا ترحل وتبيح آهاتي ! أتحسّس برودة الرّخام . لا أصدّق أنّ هذا المكان ضمّ بعضاً منّي .  
أنا أمل حولي هذا المكان الصّامت . تجلجل روعي كآبة حارقة ، آلاف من النّاس يرقدون نومتهم الأبدية تاركين خلفهم أكبادا تنفتّت .

من يعيد لي أماني المفقودة ؟ من يشيد في خرائب روعي زهرة فرح ؟ أعود إلى البيت أحتضن مخدتي ولا أنام ، أمتطي فرس الذكرى وأعود إلى مراع الماضي .  
ها هو صوته يلاحقني وأنا أجتاز عتبة المنزل .  
- هل ارتديت معطف الصوت يا مريم ، الطقس بارد جدا ، إنها تنذر بتهاطل الثلج ، لا تنسي المطرنة .

\*\*\*

- غدا تعودين إلى مقاعد المعهد . هكذا قالت أمي وهي تحاول أن تزرع في نفسي ما استطاعت من عزم وقوة ... كفى بكاء إن الحياة تستمر رغم الأحزان .  
لم تحاول والدتي طوال الأيام الماضية أن تضعف أمامي .  
من ثباتها كنت أستمذ نوازني ولو إلى حين .  
ها أنثي أترك رأسي ليرتاح على صدره وأنا أراقب الشاشة الصاخبة ، أحاول أن أخرج من دائرة التركيز فأنزعه عنه الشاشة الحمراء التي لم تفارق رأسه يوما وأضعها بدلا عنه . يبتسم من حركتي الفجائية ، أضع راحتي على جبينه أتحسس آثار جرح قديم ذات يوم استقرت فيه رصاصة عندما كان يزود مع زملائه عن بنزرت . أقبل آثار الجرح ويخشوع كأنني أخطو في محراب مقدس .

\*\*\*

أدخل فناء المعهد يتجمع الأصدقاء حولي يحاولون مواساتي بكلمات حفظتها من كثرة سماعي لها . ألمح في عيونهم نظرات الرثاء التي أمقتها . أستجمع إرادتي حتى لا أنهار أمامهم . أمضي في طريقي ، أضم جسدي إلى موكب المجهول وأحاول أن أحتفظ بكل ما يخص والدي في ثنايا روعي حتى لا تذبل صورته أبدا .

الكاف : أواخر فيفري 1992

## ربطة عنق

بقلم : محمد القاسم علي  
العراق

زحفت الدودة حول عنقه وأكملت دورتها . استقرت تحت تفاحة آدم ،  
تماما مثلما يستقر الوجه العابس قبالة الرقاب المنحورة من الوريد إلى الوريد .  
زحفت واستقرت ، حشود لا نهاية لها . صخب يلطم أقدام الصبية المتحلقين  
حول/جثته / ، يأكلون الحلوى الدبقة بشهية ، يرقصون ، ويصفقون ، يصفعون  
مؤخرات بعضهم ويمرّون أصابعهم في مغاليقها . ينقبون عن أشياء طالما احترت في  
مخيلاتهم الصائمة . أمّا النساء فقد تجتمعن صفًا واحدًا ، يملأن وجوم الشوارب  
بالزغاريد . خرجت إحداهن من الصف الأسود الطويل ولطمت خديها . كادت أن  
تزغرد ، لكنها توزرت بعباؤها وشقت ثوبها ، فاندلقت كرتا صدرها البيضاوان .  
صرخت ولطمت وخرطت وجنتيها ، فسال الدم من كانونة أنفه بعد أن رفع وجهه  
عن حلفاء أرض الموضع المظلمة . تنفس أوردة غيبته الطويلة ، واستوى مثل عصا  
يابسة يمتص برودة الحلفاء المتناثرة على خرائط بقعته الإنفرادية المنعزلة / حتى  
عن صراخ/ الآخرين / في المواضع البعيدة/ حتما ، قالها الرجل الربعة الواقف  
خلف رأسه ، ثم عاد يصفق ويكرّر زغاريدته التي فاقت في صخبها كل زغاريد  
النسوة المحتجبات عن خزرات العيون وتلويحات الأصابع .

صانت الهوسات بانتشاء ، وانحنى قامات الرجال تلاحق رقاب الحراف التي  
استسلمت لسكاكين الوليمة . تعالت الزغاريد ثانية ، وتحلقت الحشود حول أناقته  
الباذخة . انهالت عليه القبلات فتوسّلت عيناه نذور الأمهات ، وعيون المحزونين

الذين تكوموا أشلاء ، لا نهاية للونها الأخضر المعجون بدماء طفرت ولم تزل .  
احتضنت لحوم الفتيان حرقه الإسفلت فراحوا بطوون بطونهم هماً ولوعة . كانت  
صيحاتهم تشقّ خواء الليل السّاكن وهم يحملون تابوته فوق أكتافهم المكتنزة . عاط  
الرّجل مهلهل الشّباب وأمرّ كفيه على وجهه بوقار . مروا بالنّعش الثقيل  
وساحوا في المر المظلم فانفطرت تسابيح الموت من أفواههم وتمطت أوردة  
رقابهم المائعة .

انتهت تراتيلهم إلى الخلوة المنسيّة قرب عريشة الدار وتشظت ضحكات  
النسوة الغائبات منذ سنين طويلة . وانهمرت النعوت تخدش حشمة قامت دهورها .  
هرلت روح أمّه إلى نعشه ومسحته بعينين تذرّقان الفرح ، قالت له وهي تقبل خدّه :  
مبارك عرسك يا هيبة . وتساهلت الزغاريد ممزوجة بشتات خيوط الدم التي  
استشعرها حلم طفولي بعيد . رفع جسمه الثقيل ، ولوح لهم بابتسامة باردة هتفت  
خلل شفّتيه ، تعلن عن سعادته التي توجها بعرس لا يناظره عرس . تحسس  
الوردة المستقبلية في عروة سترته الحمراء ، فانتابه أنق ناضج كما العرق الذي  
لصف فوق حاجبيه . مرور أصابعه على غضون وجهه ، مانجا شتات إغماضة عينيه  
غلالة بلهاء تطرد عيويه بعصى غليظة وطويلة / أطول من قامات صحراوية  
تنتصب وتنكسر وتذوب .

مسح بباطن كفيه كلّ العيوب فسال الدم بين أصابعه وانثقت الأورام تكتسح  
رسوم أوصاله المعبّاة بوخزات الدبابيس وشور السجائر على جلده اليابس ، نظر إلى  
ماحوله ، رأى حظوظ رأسه في عمق شائخ تتغازل في عتمته روائح البول والخرأ .  
المحنّطة على الزوايا الأربع . ارتفعت نشانة المكان وسدّت منافذ فتحتي بقائه  
المطمور تحت عالم يتفتّق عن بطون ترخيف وزنود عارية تأكلها عيون الرّجال الذين  
هياً وأردافهم للهر . اشتعلت شمالات الرّؤوس وارتفعت فوهات صلبة تجاه السماء .  
بنادق ، مسدّسات ، دوي لا نهاية له ، فرح مجنون يغمر فسحات البيوت المعرشة  
على بعضها . دغدغوا أذنيه بالأغنيات . غنّوا كثيراً ، مصمصوا أصابعهم ،  
ومطقوا طعم الوليمة المالح ، الحلو ، المر ، الذائب كسويغات تدنومن فض الفرح .

رقصوا أيضا ، وانزاحت عن صواري هيبتهم أشرعة الوقار فانشقّ لهاث أنفاسهم همسا يعترك ثمّ سرعان ما يذوب ويتلاشى ، أوغلوا في طعن ظلمة العرس فاحتقنت بالرصاص . قال الربعة الذي لما يزل واقفا خلف ظهره .

حتما .. حتما . وزغرد ، وقفز في مكانه مثل كرة مطاط ضخمة . اهتزّ كرشه / كومة لحم تفصل بين عالمين / شقين / قالها مهلهل الشباب وهو يكس شظايا فجيرة النعش عن عينيه السمروين . توردت أوداج الفتية الحزاني باللعباب . انزلوا النعش وركنوه بعيدا عن صحوة النسوة اللواتي يشتهين عريهن في المآثم . لم يعد ثمّة لغط ، صمت تزفره الوجوه المغلفة بالظلمة وبقايا قطيرات العرق المنزلة بتساهل خلل الجباه . تطلّعوا إلى بعضهم ، واتسعت حدقاتهم تودّع صلف الذكريات خلف السواتر والحجابات والمواضع الملتهية بديق الصراخ والإنظار . كانت أكفهم تضغط على البنادق بقوة . كانوا أربعة وخامسهم يتحسّس عروق رقبتة بألفة ، شاردا عن حواسهم التي استيقظت على دوي يتسارع مع خفقات قلوب واجفة . انكفأت نشارات الصحراء فوق المواضع فاهتزّت عوارض الخشب التي أسندت صفائح السقف المضلعة . خيل إليهم أنّ الصحراء فتحت بطنها من جديد لتلم أجساد الجنود المتناثرة فوق تلالها وأعماق منعرجاتها الموحشة . رفع أحدهم ثقل ظهره فبان وجهه مهسورا وذابوا كقشرة يابسة لا لون لها . حرك شفتيه بصعوبة والتفت إلى العمق المظلم . لم يكن في الفراغ ثمّة شيء . هي مجرد أنفاس / أنفاسهم / التي اختلطت برائحة حامضية رطبة . عبر إلى فوهة الموضع الضيقة لأمّاجسمه التحيل / إلى هناك / . ودعته نظراتهم دون اعتراض ثمّ عادت تغرز لحظات انتظارها في لبّ الأرض . تناهى صراخ بعيد لأصوات هاربة وأخرى تموت ، وتلامعت بضعة رصاصات كأنّها ندوب منتفخة في جلد السماء ، تؤزّ ، وترتطم ، وتشذب الصحراء من عليها الكاكي . مرّت لحظات ثقيلة تخالط في شتاتها صمت ليلى وزعل لأرواح عالقة بين نهايتين ، وفحيح الكائنات الضخمة التي تتطاير وتنّ وتنفجر . علقت أنظارهم إلى سقف الموضع المهدّد بالإنسلاخ . كانت الرصاصة قد استقرّت في مكانها ، فتطوح الجسد التحيل / صامتا / أو /

مخلقا ثقل جثة تمطت أوصالها فضربت سقف الموضع بشدة ولم تخلف وراءها سوى بضعة رفسات تحاول طرد الروح بعيدا وإلى الأبد . رفعوا رؤوسهم فاحتضنت وجوههم ذرات الرمال النازلة من فسحة السقف . اندلق الرأس معلقا في تلك الفسحة الضيقة . كانت العيان تنزفان أشياء تشبه ألوان معطوية ، دم ، ودمع ، وذور خفيف من رمال يابسة سالت على تخوم الفم المغموم بصرخة طوت أشعاع بلا نهايات وماتت دون أن تصل .

امتقع ليل الموضع البارد ، وتلون بالبكاء الذي طفر من عيون ذابلة لبست ثوبها الكاكي المطرز بآلاف الأدعية والتنانيم . صاح أحد الثلاثة : لم أعد أحتمل . وصاح آخر : ستنتهي رؤوسنا إلى السقف .. هكذا تماما ، ورفع سبأته إلى الرأس المتدلي . بينما حزم الثالث أمره متوثبا وهو يشير إلى الفتى المرتكن في أقصى المكان : ستخرج معنا .

/ لكنه لم يخرج / قال مهلهل الثياب بعد أن نفّض مخاط أنفه ومسح بقاياها الزرّة الملتصقة بين أصابعه . قلناله ذلك مرارا .. أخرج .. هناك .. تخلع عليك الزهور فضائل ألوانها الجميلة .

/ لكنه ظلّ صامتا / يتحسّس رقبته من جديد / وكأ رأسه إلى الكرسي العريض كمن يتهيأ للذبح وأزاح ربطة العنق التي انفلتت عقدتها وسابت على قميصه كحبل مفتول يندّر بشؤم . انسكبت أجساد الرجال في حلقة كبيرة وتوردت خدود النساء خلف الحيطان والنوافذ ، كلهم ينتظرون الزفة وتحرقون لحمله على الأكتاف ليودعوه أمانة بين أحضان عروسه الآمنة .

اتسعت دائرة الضجيج . صراخ يتكرّر ، من هنا أو هناك ، من نسوة توزرن وأخريات استملحن عريهن ، من جنود شجت هاماتهم وابتلعت صيحاتهم قباب الهوس الصحراوي ، ومن آخر ابتسامه للرأس عمّدها خوف مرغ بما يشبه لمس الروح

قبل توديعها . كان بإمكانهم البقاء . تردد صدى هاجس أقرب إليه من آخر خطوة من خطواتهم المأتمية التي ودعت المكان عمّا قليل . سأصرخ بهم الآن : لمينتة العرس بعد .. ارقصوا ، واحفظوا رؤوسكم في جيوبكم / دائما / .. دائما / ، همس الرعدة المتحفز للهز وهو يمضغ دسم الشريد العالق بين أصابعه ، وأردف :/ دائما / يرقصون ، لكنهم ، ينسون حفظ رؤوسهم في جيوبهم .  
/ سيتذكرون ذلك يوما / ....

ألقى بندقيته جانبا ، وظلّ ينظر إلى الرأس الذي مازال يصرخ رغم صمته . نزع ثيابه قطعة قطعة ، فقالت له أمّه : ادب سز . مرّر أصابعه على دغل صدره الكثيف ماسحا رغباته القديمة في شحوب الموضع ومرارة ما تبقى لنفسه تماما . شعر بأنّ لأصابعه رغبة الإكتشاف . هذا الأنف / صورة أبيه مهلهل الشباب يمرّ راحة كفّه خرطوم الطويل / هذا الفم / امسح فمك .. أبو السلاج / ولكن يا أمي / هاتان العينان أمسح عنهما الدمع يا ولدي الصغير ، ستكرّر اللعبة في السنة القادمة . / وهذا الولد يكبر .. ها أناذا أكبر وعلى رأسي خوذة لرأسين / يتدلى أحدها من هذا السقف اللعين / ثلاث خوذة أخرى نقرت وضاعت بها الأرواح . لكنني لا أعرف ما الذي يحدث بالضبط لكنك ستعرف في ما بعد . قال الرعدة ، بعد أن تجشأ تخمة الوليمة ، وأضاف هامسا : الطريق إلى فخذ امرأة أسهل من مضغ اللقمة في الحلق ، تذكر ذلك جيّدا . أطرق قليلا ثم أعطى جعية صدره مساحة امتلاء . اغترف الهواء بلذّة وأمتحن فضائل فمه الناشف قبل أن توخزه الغصّة فيبلعها على مضض . لم يجد في فضاء عرسه سوى غيمة بعيدة رسمت حدّ نهايتها . نظر إليها بحزن ، وعاد إلى تلك الوجوه السود الراقصة . تساءل في سرّه عن جدوى بقائها في عرس مسكون بروح أزلية تلبس لهائها / ثقبيا / ثقبيا / .

ومع سقوط أول السكاري قرّر أن يرمي ربطة العنق خارج سرب أناقته ويستقبل الهواء البارد بلهفة طفولية جامحة . لطم رقبته بقوة وفرك موقع الخبز بشدّة فاندلقت أحشاء دودة سوداء تركت وشمها عالقا في أوردة صلبة كما لو أنّها



أصابع توحى بالإتكسار . كاد أن يحتفظ بآخر قطعة ثياب سترت أسفل بطنه ، لكنه قرّر أن يحترف العري في فوضى تهالكت فيها الأجساد برؤوس خرافية تختشق حرمة العيون الثائمة هناك / في أعلى الرف / قالت له ، وصفت مؤخرته العارية : اذهب واستر عورتك يا ابن الكلب . نأى بعيدا عن عروش الصور القديمة التي لاح فيها وجه أمه منفعلا وباسما ونازفا حرقه الدموع المسفرة إلى ظلال جلدها الحمري . يا ابن الكلب .. لب .. لاب .. كلا .. ب . ضرب رأسه بكلتا قبضتيه واستدار إلى الرأس المكسو بطبقة فاحمة أضفت على رهبة الموت نعمة يفصح عنها ديبب الأصابع التي راحت تزحف على شقوق الوجه وترصد سكون مفرداته التي عمها القيح ، يتعاقب رفيفها على الأنف والعينين الذابلتين والغم الملقوم بصرخة ميتة والشعر المرقش بخيوط الدم والرّمال ، ثم سرعان ما تطردها نويات من القشعريرة تتحركها تنقب بين البطيغات وصناديق العتاد وزمر الأوراق القديمة والجرائد الصفراء التي لم تعد تصلح إلا لمسح مؤخرات الجنود . كان لهاته يتصاعد ورغوة أنفاسه تتقصى حدود الموضع . تزكم أنفه برائحة كريهة دقت أسافين ديمومتها في صدره شهيقا وزفيرا . طرح كل الأشياء جانبا ، وعثر على ضالته . أرسل بحة من حلقومه خرجت وكأنها غرغرة تسبق لفظ الأنفاس . مسد بكلتا راحتيه على الجبل الغليظ ، وتخبط في فمه لفظ من سالف الأزمان تحنطت له العيون الذبيحة على محراب القبض الصحراوي المستعر . أحكم ربط الجبل حول عارضة الخشب فصاحت به أمه : لا تفعلها . خزر الرأس ، وأردف خزرتة بابتسامة لها فعلا النواح الذي جلل عيون العاريات في حفل أحتت له عريشة العنب أغصانها إيذانا بتغل وريقاتها الصفرة . عدن إلى لطم الحدود ، وكررن اللازمة : لا تفعلها ! اغرورقت العيون ، وانتصبت القامات ، ودارت دورة الأنفاس . دورة الجسد الذي تعرى وأسلم ثقله متديلا دون حراك ، ورقبة سابت على الصدر ، ولسانا عالقا بين الفكين ، وروحا تنفست هول صيحاتها فوق الشكنات بانتظار أرواح قادمة .

## إحتراق مملكة الورق

بقلم : علي السباعي  
العراق

أطفال يلعبون "الشمبطرة" (1) ، هتف المسك بعضاً أشبه بالصولجان : - حياة  
الحجّاج .

تطير العصا الصغيرة بعيداً ، تصول بين غابات الأيدي المتبارية ، بدأ العدّ :  
- عشرة ، عشرون ، ثلاثون ، .... مائة ، مائة وعشرة ، ... مائة وخمسون .  
هتف الجميع :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

\*\*\*

فتح سمس الأبواب الموصدة ، سقط الصّمت ، تكسّر ، تهشّم بانفجارات راحت  
تكبر ، صارت زمناً ملوّناً بالوجع ، ألم نوبة موسيقية كسر سلميها ، أرتد لسان  
الحجاج قائلاً :

- خاسر من ترك خيوله تقف؟!!

أشرعت كلّ الأبواب المغلقة ، أناس بلا خيول ، سهيل خيول محاصره بانفعالات  
انسانية ، هرج الناس كسر أواني الصّمت المفخورة ، علت أصواتهم تسأل :  
- لم أسرت خيولنا ؟  
سهيل وجري .

جري وسهيل خيول متعبة سقطت عند منعطف الحصار فوق الصراط ، بين حياة  
وموت ، قسوة ورأفة ، حصار وحرية ، جري ووقوف ، بكاء وصمت ، على بكاء

الحصار أفساق الموت من سباته ، مشى مثل البغايا ، علّق أصحاب الخيول  
الأسيرة بجزع :

- نحن نتألّم ؟!

نظر الحجاج ناحية الزّمن العائد إلى الورا . شدّ . دائما شدّ ! أذهرت عيون  
الحياة من نوافذ جفونها تركت العالم زلزلة شمّعت بوابتها بالدم ، حشرجت الخيول  
بنبوء الهلاك التي أطلققتها العراقة بوجه قبصر / ممارسة / دوت رصاصات الحجاج  
تقول :

- الآن . الفناء !

\* \* \*

أغمض سمسم عينيه . غفا . الأولاد يلعبون الشميطرة ، هتفوا : حي .  
الحجاج حي .

\* \* \*

مدن تختر الدم في شرايينها ، خيول بلا فرسان ، لا تكرّ ، ولا تفرّ . سمسار  
ينادي :

<http://Archive.beta.sakhs.com>

- كلّ من يريد خيوله يجلب مقابل وزنها . كتب ؟!

هتف سانسو الخيل :

- لماذا الكتب ؟ أطلبوا أي شيء غير الكتب !

كرّر السمسار نداه ثانية :

- من يريد خيله يجلب مقابل وزنها . كتب ؟!

تراب . ضجة . شهيق مخنوق ، الشمس ملمت خيوط غزلها مثل عنكبوت فرط  
غزل سجاداته الحريرية ، زفير نشر حسراته فوق خطوط الطول وخطوط العرض ، لا  
أحمر ولا أبيض ، الصراط خال من نقاط التفتيش نزعت الحدود أسلاكها الشوكية  
، مجنونة ترتدي يافطة وفاة ، تنادي :  
- إنّ الذّباب لا يصفّق إلاّ للقمامة .

\* \* \*

- جليتنا كتب الأجداد ، آباءنا ، أبناءنا ، وكتبنا ....

ردّدها أصحاب الخيول الأسيرة لاهئين ، ضاع صوتهم مع جلبة الصبية ، أعادوا طلبهم باهتمام :

- أعطنا خيولنا فلقد جلبنا الكتب !!!

الأفعى أغرت حواء ، تعرّت شجرة التفّاح ، استرحمت عيون النّاس ، الأفعى أن :  
- أشتري التفّاحة !

قضم الحجّاج جميع التفّاح مستهزئاً ، أمر محاريبه قائلًا :  
- إذن أحرّقوا الكتب .

ألّسنة النيران تلوك مملكة الورق ، تحرق بلعاب جهنّم ، تأكل كطفل صغير يتلذّد بالتّهام الشيكولاتة ، ارتفع بكاء الكتب ، نحيب مكتوم ، طقطقة وجلة ، هسهسة ، نباح ، عواء ، وعويل مزّق خدود الزّمن ، تعرّت الحياة أنشئ خضبة ، حصدت جسدها اللّين مناجل أسنانها لهيب مستعر ، انصرف الأولاد يصنعون طائرات ورقية من ورق الكتب ، صرخت فتاة اليافطة :  
- نحن في سقر .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- المزيد من النّار .  
- لبس الغروب عمامته الحمراء ، قطع القمر شخير النّاعم ، أسفر جاحظا باهتا باردا كعيون الموتى ، رمى الغسق عباءته البرتقالية ، تهادى القمر متأبطاً نبوءة العرافة / دخان / استنشّق الحجّاج عبق الكتب المحترقة . عميقاً . عميقاً ، قال بخبث :  
- آن للنّار أن تتكلّم .

\*\*\*

الصبية يشدّون خيوط طائراتهم بأصابع ملأى بالتآليل ، اشتبكت طائراتهم ، زعقوا :  
- الحرب !

\*\*\*

طائرات الصبية تبحّرت بدخان داحس والغبراء ، حرب بلا أعداء ، بلا شهداء ، البحارة يجذّفون بأميال الزّمن ، خبظات مجاديفهم ساعة تؤكّد انقضاء زمن

الشميطرة ، كلّ ثانية تسقط طائرة ، بصرخ طفل :

- جمجمة واحدة!

كلّ دقيقة تصطدم عدّة طائرات ، يهلك الأطفال :

- ستون جمجمة !!

أقدام الصبية هجرت الصراط ، تدخل أتون داحس والغبراء / والتفت الساق  
بالساق . إلى ريك يومئذ المساق / بيادقهم حائرة بين الحرب فوق الصراط أو تحته ،  
صبي يغني بحماس :

- موطني ... موطني ... موطني !!!

فارت النيران برعود حبلى بصراخ الناس ، زمن النار امتدّ معمراً بخطى  
عمرها ألف دهر ، تحرق ورق السلام ، تسافر من احتراق إلى آخر ، من سدوم إلى  
عموره .

/ سدوم / بحلة زفافها تنتظر الطوفان ، سكارى أبناء / عموره / يصيحون :

- أين خيولنا ؟

ارتبك زفير الناس أمام دخان الكتب ، لهث ، حجل فوق العفن ، الحرائق مدت  
أجنحتها دخاناً طائراً في سماء غيومها طلاس مسمارية ، أجابهم الحجاج بصلف :  
- قتلتها .

أمرت النيران دخانها أن يعتصر نهود الألم ، يحلبها حروبا ، مجاعات ، أوبئة ،  
وفيضانات يرضعها أبرهة منتشيا عندما يطالع صحف الصباح ، الفجيعة تشقّ  
رداء الصمت بهتاف أصحاب الخيول :

تأبط صبي أسمر طائرته الورقية ، دندن مترنماً :

- موطني ... موطني ...

فتاة اليافطة عصيت عينيها بذيل حصان ، ساءت تتبع غناء الصبي . تعثرت .  
تلقتها النيران مرجحة ، جأرت بجنون :

- لا . الكون كذبة . لا .

ضحك الحجاج منتشيا مثل أبرهة ، فوسوش باذن سمس أن :

- أغلق الأبواب !

صعدت الجدات إلى سطوح المنازل ،نهرن أحفادهن قائلات :  
 - أنزلوا ! السعالى تخطف الصبية المشاكسين .انزلوا بسرعة !!!  
 تجرّع الأولاد أوامرجداًتهم كمريض يتجرّع الكنين (2) .

- 1 - الشميطرة : لعبة من ألعاب الأطفال فى جنوب العراق ، تتكوّن من عصا وقطعة خشب مدببة الطرفين تسمى "الزاب" ويكون أذاء اللعبة هو أنم يضرب طفل الزاب بالعصا فيرتفع الزاب ويسقط على الأرض ثمّ يضرب طفل آخر الزاب بالعصا ويسقط على الأرض وعندما يسقط الزاب بمسافة أبعد من مسافة سقوط الزاب الذي ضربه الطفل الآخر ، يكون الفائز هو ضارب الزاب الذي يسقط بمسافة أبعد .
- 2 - الكنين : حبوب طبيّة مصنوعة من مادة صفراء تستخرج من ورق نبات الكينا ، يكون طعم الحبة مرّاً ويستعمل الكنين لعلاج الحمى والملاريا .



نرجو من الأصدقاء الذين يرسلون بمقالاتهم  
 إلى المجلّة أن يحرصوا على توضيح الخط وعلى  
 قراءة النص قبل إرساله .

# العاصفة

لوحة مسرحية

بقلم : ديداني أرزقي  
الجزائر

المكان مقهى . المناضد مرصوفة بعناية .. الرواد يرتشفون (جلهم)  
القهوة ، في ركن بعض الأصدقاء .. « أحيانا يكونون ثلاثة ، ينقص  
واحد أو يزيد واحد. » لكنهم دائما يجتمعون .

رابح - (معلم) زوجتي اشترت (قندورة) بأكثر من مليون دينار .  
الصادق - (طالب جامعي ) يا إلهي ! هذا يفتت عزيمتي للزواج .  
عمر - (حيطست) هذا إن وجدت عملا .

الصادق - (معلّقا في سخرية) نطق بالحكمة أيها الحيطست بامتياز .  
الكاتب - (هزق السّتين ، من عمره - لم ينشر أيّ كتاب ، يدعى نوّار  
لابدآن تتسلي لأحد الأحزاب ، كي تدعمك ، وهذا كي تحصل على  
عمل . <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(كان يسخر . الآخرون لم يحاولوا الإبتسام )  
عمر - أو يتزوج أرملة غنيّة . أو . على الأقل . موظفة بإدارة ماليّة .  
(يفرقون في الضّحك )

الكاتب - هذا الحريف هادئ المزاج ، أظنّ أنّ العواصف لن تجرؤ على الضرب .  
الصادق - كلا ... كلا . العواصف يسبقها الهدوء ، المخاتل كالحب عندما يأتي  
بعد الركوند .

الصادق - ها هو كلام السياسة .. مرّة أخرى ، وأخرى وأخرى ... أقول لكم  
الصّدق عندما أتكلّم فيها أحسنّ بالغشيان .

رابح - دعمك من الكلام ... الأحزاب في هذه المرحلة هي التي تحتكره .  
الكاتب - كلام ... كلام أجوف ، كرموز قصائد توماس سنغر إليوت في -  
الأرض الخراب .

(ثم بعد صمت قصير يواصل ) .

الأحزاب في البلاد المتحضرة تقدم برامج وليس كلمات ، كما هو حاصل ، ويحصل عندنا .

الصادق - دعك من كلمة (متحضرة) إنها كبيرة.

الكاتب - كبيرة!! - كلاً إن الحضارة تبنى بواسطة الكلمة.. (في البدء كانت الكلمة .)

الصادق - سفسطة .

رابح - ما معنى هذه الكلمة؟

الكاتب - (ساخرا) إنها من مخلفات اليونان .

رابح - آ... تلك البلاد التي تكثر فيها الحجارة والجزر العائمة .

الكاتب - وأين شاهدتها ؟

رابح - في برنامج تلفزي .

الكاتب - (موضحاً ) ... آه . التلفزيون سارق الوقت بامتياز . الاختراع

الرهييب صندوق العجائب .. كما أصبح يطلق عليه .

(فترة صمت )

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

رابح - انتبهوا ...

(يجثم عليهم الصمت )

(ثم في صوت واحد )

- ماذا؟؟؟

رابح - أسمع ضوضاء في البعيد ... البعيد ...

الكاتب - ها هو ، زرقاء اليمامة ، يتجسّد في هيئة رجل . وفي أواخر قرن الحداثة .

الصادق - أنتم دائماً تجلسون ، أين يوجد الدفء ، وكذلك الأكل والشراب والكلام .

عممر - هذا أحسن الأوقات .. وهذا أفضل مكان على وجه الأرض .

رابح - أفضل مكان ، عندي ، على وجه الأرض ... هو صدر امرأة .

الكاتب - ها هو أحدكم ينطق بالحكمة الأزليّة .



(يسمع في القريب أزيز صوت مدمر .)

عممر - يا للهول ،إنّها العاصفة !

الكاتب العاصفة ؟! - كيف ؟

(ويكلّ قوة الطبيعة الغاضبة انكأّت الشجرة الغير مشجرة ... وسدت

تماما ، باب المقهى .)

الصادق - ها نحن - ما شاء الله - محاصرون كالجرذان .

رابح - هذا هو الواقع ... لقد صدق ظنّي .. والآن تماسكوا .

(وحدث هرج كبير بين الرواد القليلين)

الكاتب - الهدوء ... الهدوء ،سوف تجد السلطات المحلية ، لنا مخرجا .

(صاحب المقهى يحاول النفاذ من تحت الشجرة التي ترقد ، الآن

تماما كالفيل .)

الصادق - ينظر إلى وجه أصدقائه ( إنكم صفرا الوجوه !

رابح - وكيف تريدنا أن نكون ؟!

الكاتب - تماسكوا .. الإنسان يُعرف في زمن الشدائد وتظهر قوته عند المواجهة.

عممر - اللعنة .. كل شيء يخفق الإنسان ..إني أتمزق كتوب رثّ .

الصادق - هذا هو مصيركم .. لأنكم لاتعرفون سوى الكسل والكلام . وها أنتم محاصرون.

الكاتب - (يرفع يده اليمنى ) - مهلا، مهلا ... ليخاطب كل واحد منكم ذاته . هذا وقت الكشف .

رابح - كشف ؟!

الكاتب - أجل .. هو ذاك . الكشف ! الآن تكشفون حقيقة ذواتكم ،وتريحون أنفسكم.

رابح - في الحصار ؟!

(الكل يبذل في الكاتب بدشة كبيرة .)

الكاتب - هذا ليس بحصار ، أيّها الأبله ، إنّه امتحان .

(وصمتوا جميعا .)

# الضيّق

قصة قصيرة :

بقلم : جيلاني عمران  
الجزائر

« إذا أردت أن تنفييني ضعني ضمن نظام ، أنني لست رمزا حسيّا إنني أنا »  
كبركفارد

## - 1 -

عاودني القلق مرةً أخرى .. هرعت من قذارة المكان ، من الحي ، من كسبي من قصائدي التي تذكّرني بالحلاج ، بل تذكّرني بسخرية الأميين من سحر الكلمات . تخيلت كلّ الوجوه التي أقلقها بوجودي ، بشعري .. خاطبتهم بوعي :  
- هل يسعدكم رحيلي ؟  
أتساءل ، مجرد سؤال بريء . براءة الشعراء من أزمنة العالم . تخيلتهم سعداء .  
فعلا ..  
- حتما سأفعل .. أجل سأفعل ما يريحكم !

## - 2 -

تقدّمت نحو الجسر بشجاعة ، دون كراهية .. كنت ممتلئا بالحب والنسيان أيضا .. النسيان ، أحيانا نعمة فعلا . ما جدوى أن تحتفظ بأشياء لا قيمة لها ، بأفكار بالية ، أحوادث مكرّرة .. نفس الصور أحيانا .. ونفس الوجوه ، بل نفس الخطاب .. إن حياتنا عموما تافهة ، الأشخاص الذين حولي تافهون ، كأنك في جزيرة غير مأهولة ، حتّى وإن تشاهد أشخاصا ، في الزقاق ، في الأسواق في الحافلة .. في .. في .. ذلك لغو دون شك .. هل أخطأت في كلّ أحكامي ؟ نسيت همومي إذن ، فكرة البحث عن البديل مغرّية ، وكان عليّ أن أبحث عن الحقيقة "الرسالة قد

لم تصل " وتلك الرسالة لم تكن لعبة.. " وربما تصل في أية لحظة إلى مكتب الوزير ... حينها أتخلص من اللاحقية ، من هذه الهشاشة الفظيعة ، والعفونة .. عفونة الأمكنة ... لا بد ، مجرد قفزة واحدة أنتقل إلى عوالم رحبة ، عالم جديد ، وجوه جديدة ، أفكار ... "

الجسر يختلف عن كل الجسور ، خصوصا في اختبار ضحاياه الذين يأتون في لحظات صفو وحب مدھش ، عادة يخلفون أوراقا مطوية يدونون ملاحظاتهم ، ودوافع الفعل غير الطبيعي .. وأغلبتھم شعراء مثلي . يبتعد الجسر قليلا عن الطريق الوطني ، بعيدا عن ضجيج المصانع ، معظم مستعمليه يتجهون نحو الشمال بسرعة كأنھم في تسابق مع الزمن ، عادة اتجه إلى الجسر في لحظات مشابهة للحظة اتخاذ القرار الرھيب . أعتقد أن ذھابي إلى الجسر عادة طيبة ، ثم إنه يبهمني بمقاومته لثقل الشاحنات وكلّ الفيضانات ... ومرارا أحمل أوراقا وأقلامي لأكتب آخر الكلمات لتكتمل القصيدة وأرسلها بعد ذلك إلى الصحيفة اليومية... ومرة تخيلت - ربما لبؤسي - جثتي تتشعل بدواعة ، ورجال الحماية المدنية يحاولون إنقاذي لأن أنفقس نكابة في ... ثم يفسرون أسباب الانتحار ... لا تسموه انتحارا .. بل موتا طبيعيا ..

وآخر يقول :

- كيف فعل ولماذا ؟ إنه رائع وهادئ

وآخر :

- إنه طموح

- عنيد

والوزير آخر من يبحث في أدراج المكاتب ... وقد يكلف كل الإداريين بالبحث عن صوري عن قصائدي المنشورة .. تصادفه طلباتي الكثيرة ورسائلي المفتوحة آخر هذه الرسائل طلبت سلفة لطبع ديواني الأول .. والأکید أنه يتذمر من ملاحظاته المشؤومة في حق إنسان يتعذب . المشهد غريب ومثير ، غامض أيضا لكنه ممتع .. فكرة انتحاري أخذت مجراها الطبيعي إلى أجهزة التنفيذ الذاتية . فكرت مليا

بعدما استعدت توازني .. تسألت :  
- لو أفعل هل سيتغير وجه العالم ؟

### - 3 -

( معذرة سيدي الوزير ... لن أدعكم تبحشوا في الأرشفة كثيرا. ولن أدعكم تتعبوا أكثر في محاولتكم لتقريب صورة الشاعر إلى ذهن المشاهد. لأنَّ القارئ عموما يعرفني بشكل جيد ... فقط عليكم أن تقرؤوا قصيدتي الأخيرة ، عفوا رسالتي ، ولن أقدم على فعل الإنتحار قبل وصولها إلى سيادتكم .. بمعنى أن تتزامن القراءة مع الفعل قصد الإثارة لا غير . بمعنى أن نعيش سويا نفس الألم ) .

- الفكرة واضحة جدا .. عليّ أن أكتب ، لماذا أنتظر ..؟ تسأل ، غرفتي صغيرة أو يبدو لي أنها قبو .. رغم أنَّها الغرفة التي منحتني الحياة والإلهام ، كتبت فيها جلَّ قصائدي ، حينها أستعمل الشموع بدل الكهرباء ، وقلم الرصاص ، مئات الأوراق بدل الآلة الرقنة. وكلما أكتب قصيدة جديدة أحلم بتغيير العالم ، أو على الأقل بتحطيم عقليات متحجرة. تنشر القصيدة ، لا شيء يحدث ، سوى آهات العاشقات ، ورسائل المعجبات ، أمام سخرية رجال الموضة في أحياء مدتنا الميتة في كل الأحوال لا يقرؤون .

( ... لن أدعكم تبحشوا عن لون شعري ، عن آمالي والآمي ، احتراما لوقتكم الثمين ، أحاول الآن في إعادة ترتيب كل الأحداث والأزمنة والأمكنة والعناوين التي هزّت قلوب النساء .. والعناوين التي أثارت غيظ الحكّام .. بعبارة أخرى يوميات الشاعر المهووس ببدايته ونهايته .. أرجوكم لا تحزنوا على رحيلي المأساوي .. حتما ستزكّدون وتعلّلون ، ثمَّ .. إنّه قدر .. وهو قدر الشعراء أن يرحلوا في وقت مبكر ! وتذكرون على سبيل المثال : الشابي ، لوركا ، أتذكرون بلحسن وفوانيسه ؟ أتذكرون سبتي ، بختي ، صفيّة ...؟ لا أعتقد أنكم نسيتم ذلك ... شكرا ... على كلمة التعزية ، بإمكانني أن أتصوّر مبعوثكم إلى بلدي يوم

تشبيع جنازتي ، يلبس لباس الحداد نظرات سوداء ، ربطة عنق سوداء ، يلتزم الصمت... كالتأثر والحزن. قد يخرج ورقة من جيب ينطلونه ليقرا كلمة تأبين ! لا .. أرجوكم لاتفعلوا ذلك يقلقني، أكره الرسميّات وتفزعني ، ستجعلني حزينا في قبوري .. أريد فقط أن تتذكروا مقولة مرة ونظّل نكرّها ما دمنا نكتب (كنا غريبا ) .

أنهيت رسالتي دون ألم ، أو دمعَة أذرفها حسرة على رحيلي ، في الواقع شعرت بالرضى ، كأني إنسان يقوم بواجبه .. غمت بارتياح عميق دون أن أحلم ، لم أعد أحلم منذ سنوات ، مثلما فقدت لذّة الحزن ، وإن كانت أسباب الحزن بل أحزان وأحزان .. فتجدني أرى الأشياء بمنطق غير مألوف لماذا أحزن؟ ولماذا أفرح ؟ .. وفقدت البسمة .. للأسف .

#### - 4 -

تأملت الفراغ الممتد بين حائتي الجسر والنهر ، بقايا بقع الدم لرجل سبقتني في اتخاذ القرار مثلما سبقتني في التضحية ، كان نبيلًا ، يحمل أحزان العالم في قلبه النابض بالحياة " من أوقف نبضات قلبه يا ترى ؟ أهى تلك الجميلة التي أرهقتها أم القصيدة .. أم أولئك ؟؟ يومها انتقل إلى عالم الجديد ببدلة نظيفة وربطة عنق نادرة ... عيناه مفتوحتان ، كأنه يختزن بشاعة الوجوه التي تحاصره ... "

ورسالتني ؟ قد وصلت .. أواه ، أعتقد .. على أن أنتظر أسبوعا آخر " رجعت إلى البيت خائر القوى ، تذكرت ضيق الغرفة، طلبات العائلة .. أوراق المتناثرة ، كتبتي المبعثرة ... تذكرت أيضا سخرية الوزير من عبث الشاعر المشهور ، عبثي ! أكيد أنه قرأ الرسالة بالمقلوب « لكن لماذا أتردد ؟ هل أنتظر وساطة الوزير ليمنعني وأراجع عن قراري ؟ تبّ .. أهو .. » .

هجرت الحي الميت ، القذر .. تمنيت لحظتها لو أعلم أن الوزير قرأ رسالتي لأتخلص من ذاك العذاب .

#### - 5 -

حتمًا .. إنها وصلت أسبوعان !؟ غير معقول "

قصدت الجسر في أمسية ممطرة ، بفرح أخاذ لأواجه مصيري ، دون أن ألفت

إلى الورا ، الأجل في كلّ هذا أنّ الجسر لازال يحتفظ بجماله وإغرائه ، بيدولي في تلك اللحظة أنّه أروع وسيلة لمعالجة أمراض السادين ، لتجعلهم يتذكرون آلام البسطاء والشعراء في شقائهم.. رحت أتساءل بصوت مسموع :  
\*  
ما جدوى من الحياة في هذا الهراء ؟ ثمّ ما جدوى من الكتابة في حيّ لا يقرأ ، أو في مدينة يقتلونّها كلّ يوم مدينتي التي أصابتها لعنة الشهداء والنزهاء والشعراء .. أكيد أنّ رسالتي لم تصل بعد .. على أن أنتظر يوما آخر ..

استلقيت على فراشي ، غير مبال بصراخ الأطفال وفرحتهم ، الذين يتابعون مسرحيّة أعدها الكبار للصغار .. تأتيني صرخاتهم كالتشنجات منذ متى أكره أغاني الأطفال ؟ أراني أحسن بكارثة قادمة ، مدمرة ..  
فاجأنتي النشرة الرئيسيّة وأنا أعيب بقصاصات الجرائد ، أتابع الأنباء بنصف عين .. آه ماذا أسمع ؟

المذبة أذاعت نبأ انتحاري ! وبحزن أيضا ، حزن باد على وجهها المصفر ، تظهر بدون مساحيق ! ثمّ قرأت بيان الوزراء ، وقوار الوزير العجيب .  
" آه الوزراء تطيع ديواني الأول والأخير ! ماذا أسمع .. أيّ أني أختق .. دوار رهيب .. هل يعني هذا عليك أن تموت لتعيش كتاباتك ؟

قه قه قه ... قه قه .. فكّرت في الزّمن الآتي ، في حزن رفاقي ، أكيد إنهم سيأتون في أيّة لحظة ... ثمّ إنّ الوزير قرأ رسالتي بجديّة ، والجماعات المحليّة تشطب الاسم من سجلات الحالة المدنيّة ، الرقم مجرد رقم لا غير ! .. خرجت مهرولا ترافقني نسمات الليل المنعشة ، تشعرني بروعة الحياة رغم القذارة ، وتعفّن الأزقة المؤدية إلى الجسر . هل سأفعل ليعيش ديواني ؟ اقتربت من الجسر والجسر يبتعد ، يبتعد . حاولت أن أقرب قدر المستطاع .. الجسر يبتعد .. هل سأفعل .. بل سأفعل لا .. سأفعل .. لا .. نكاية في كلّ الذين .. لا .. والجسر يبتعد .

# عامر بوترعة

## ذكريات معه وعنه قبل أن تمضي الأيام

بقلم : محمود الحرشاني

فقدت الساحة الأدبية والثقافية يوم 3 نوفمبر الجاري الشاعر المبدع والفنان الرقيق عامر بوترعة وهو ما يزال في ريعان الشباب وأوج العطاء .. ويعدّ الراحل العزيز من أبرز شعراء تونس المعاصرين وأغزّهم إنتاجاً ، وأكاد أقول أكثرهم حرصاً على نقاوة العبارة الشعرية وجمالها ..

بدأت مسيرة الشاعر عامر بوترعة الإبداعية في أواسط الستينات .. وكانت بدايته في برنامج "هواة الأدب" بالإذاعة التونسية .. وسرعان ما برز عامر في هذا البرنامج الذي كان يداوم مراسلته بانتاجه الشعري والقصصي ، وكان يلقي من المشرفين على هذا البرنامج كلّ التشجيع والتقدير لموهبته المتوهجة ..

وانطلقت تجربة الراحل العزيز في مسارات عدّة ، في القصّة والشعر والرّسم خاصّة بعد أن انتقل إلى مدرسة الفنون الجميلة بتونس وتخرّج منها أستاذاً للتربية الفنية ..

وبهذه الصفة ، عمل عامر بوترعة في عديد المعاهد الثانوية .. وكان لي شرف التلمذ على يديه في مادّة الرّسم التعبيري بمعاهد قفصة ، كان ذلك في أواخر الستينات وبداية السبعينات وقد كان له الفضل في صقل موهبتي الأدبية وكان من مشجعي الأوائل في مجال الكتابة الأدبية والصحفية مع عدد من الأساتذة الآخرين مثل

عبد العزيز فاخت والهادي شقرون والحسين البويحي وغيرهم .. كان ذلك في بداية السبعينات وكان عامر بوترعة وقتها في أوج العطاء .. ينشط الأسبقيات الشعرية بمدينة قفصة ويعدد من المعتمدات الأخرى التابعة لولاية قفصة الكبرى آنذاك (1) .. وتذاع قصائده في الإذاعة ، وفي هذه الأثناء .. ولدت قصيدته الشهيرة "مع سائحة " التي يتغنّى فيها بجمالية مدينة قفصة وبمعلمها السياحي "سيدي أحمد زروق " والتي يقول مطلعها :

زروق هذا وهذا جوه الشعري الصيف حمله سحرا على سحر (2)  
وقد اشتهرت هذه القصيدة كثيرا في ذلك الوقت ، وحتى بعد ذلك .  
وفرقت بيننا الأيام لمدة سنوات عديدة لألتقي بعامر بوترعة من جديد في بداية الثمانينات عندما رجع من فرنسا واستقر في سيدي بوزيد وأصبح عامر بوترعة زينة المجالس الأدبية والثقافية .. لا فقط في سيدي بوزيد وإنما في كافة المهرجانات الثقافية والأدبية التي تقام بكافة ولايات الجمهورية .  
وكان لا يخلو أي مجلس أدبي من حضور عامر بوترعة الذي كان يتحف الحاضرين بجميل قصائده .. ولعلي كنت وهذا من حسن حظي باعتبار قربي منه ، شاهدا على ميلاد العديد من قصائده ومجموعاته الشعرية الأخيرة.. بل أن الكثير منها ولد بين يدي .. مثل قصيد "نعم .. أنا.. راع" الذي احتفظ إلى اليوم بنسخته الأصلية الأولى بخط يد الشاعر كما كتبها ذات صباح في مكتبتي ، وقد نشرت هذا القصيد لأول مرة بمرآة الوسط .. ولهذا القصيد قصة تروى سوف يأتي يوم روايتها وقد اشتهر هذا القصيد كثيرا ، وتجاوزت شهرته الحدود التونسية ونشرته وأذاعته عديد الصحف والمجلات العربية.. ومثلما كنت شاهدا على ميلاد قصيده "نعم أنا راع" كنت شاهدا على ميلاد العديد من القصائد الأخرى ومجموعاته الشعرية ، مثل مجموعته "وحي الفجر" التي ضمت قصائده الوطنية



التي تغنى فيها بتونس ومكاسب التحرك .. ومن حسن حظي أنه أهداني مجموعة من القصائد بخط يده وهي قصائد لم تضمها أي مجموعة من مجموعاته ، مثل قصيده "سهيل نحو الشمس" وهي قصيدة مطبوكة في حوالي 75 بيتا قيلت في مهرجان الجواد العربي الأصيل بالمكناسي سنة 84 وقد أهداها لي بخط يده كما يلي :

« إلى أعزّ أعزّائي .. أخي محمود الحرشاني ، مع محبتي ووفائي الدائمين ... الآن وإلى الأبد » .

وعلى امتداد مسيرة مجلة مرآة الوسط .. كان الراحل العزيز يزودنا بين الحين والآخر بعدد من قصائده ، نشرناها له .. وهي قصائد لم تضمها أية مجموعة من مجموعاته الشعرية المنشورة .. هذه كلمة أكتبها عن عجل عن صديقي وأخي الروحي وأستاذي عامر بوترة وهي لا توفيه حقه في انتظار أن أخصّه بما هو أطول منها .

ووقاء لروحه ننحصر في العدد القادم من مرآة الوسط الذي يصادف أربعينته ملفا كاملا ، وهي دعوة أوجهها لكلّ أصدقائه للمساهمة في هذا الملف عن عامر بوترة رحمه الله وأسكنه فراديس جنانه .

- 1 - ولاية قفصة كانت تضم ولايتي سيدي بسوزيد وتوزر .
- 2 - القصيد نشر كاملا بمجموعة "أعوذ لكم" الصادرة عن الدار التونسية للنشر وهي المجموعة الأولى للشاعر .

# قراءة تحليلية في المهرجان الوطني للأدباء الهواة بقلبية

بقلم : بلهوان الحمدي

## 1 - على أعتاب المنارة :

تلك عاداتهم في كل موسم من مواسم الأدب يحجّون إلى مدينة قلبية .  
قوافلهم لا تستقرّ وسيلهم لا تنتهي ولا تدرك لها بداية . الرحلة بحث عن  
الفردوس المفقود . بل قل هو الوهم في إعادة بناء العالم وترتيب فوضاه .  
وإذا ما سألت هارو : ما الشعر ؟ أجاب : لحظة نحلّقها خارج الزّمن لنصنع زمنا  
خاصّا بنا .

إنّ الكتابة هم كبير ووهم أكبر . وعلى ذلك أقاموا وأقمنا أربعاً في مدينة  
الأدب والفكر والبحارة والمنارة والمنصورة وسيدني البحري .  
سؤال يلحّ عليّ ويحاصرني منذ ولوجي المهرجان بدار الثقافة : لماذا استبدلت

تسمية الملتقى من "مهرجان الأدباء الهواة" إلى "مهرجان الأدباء الشبان" ؟  
والتحوير لا أخاله بريئاً في عصر صار مصطلح "الأدباء الشبان" يعني كل شيء .  
دون أن يعني شيئاً يذكر . وبعض الملتقيات تشترط إحضار الأغنية للتدثّر !!

إنّ تغيير المهرجان من "الهواة" إلى "الشبان" بعد دورات عشر لا يقوم على سند  
منطقي سوى النمذجة والتكرار . فما ضرّ لو حافظ الملتقى على تسميته الأصليّة  
على غرار مهرجاني : مسرح الهواة بقلبية و سينما الهواة بقلبية .

## 2 - من داخل المنارة :

نروم من عملنا هذا متابعة أهمّ ما جاء في التظاهرة من فكر وإبداع  
دون التوقّف عند المراسم أو التحوّل إلى بوق لأيّ كان سوى للأدب الخالص  
والإبداع المحض .

## أ - الأستاذ أحمد الرمادي :

قدّم رواية « بروموسبور » للكاتب القصّاص حسن بن عثمان قائلا : هي رواية واقعيّة محلّية كما نريد لها أن تكون أيّ تونسيّة لحما ودما . فبخلاف بعض الروايات الضاحكة الباسمة التي تعيش على فتات الغير رسم بن عثمان بشكل كاريكاتوري الإنسان التونسي والعربي ناقما معقّدا عبثيّا لا يشعر بالسعادة إلّا حالة السكر .

فالحياة هنا والآن نفاق ورياء بل هي استحالت صدفه ورهانا حيث كرة القدم هي سيّدة الأنشطة .

ويضيف الأستاذ الرمادي أنّ الروائي وظف الجنس في كتابته كما وظفه التراث الأدبي العربي من الجاحظ إلى التوحيدي إلى الأصفهاني وغيرهم .

وفي توظيف الجنس فضح لمجتمع بأسره انهارت فيه القيم واستببح العرض والأرض

### ب - شهادة الروائي حسن بن عثمان :

كعادته عقّب الكاتب بغضب طفوليّ جميل وقد أثارته تسمية المهرجان المقرّفة لأنّ « كلنا هواة شبّان بن فينا نجيب محفوظ . » عن أزمة الكتاب والكتاب يختزل المعضلة في ما يلي :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

\* غياب الكتاب — غياب القراء .

\* الكتاب غالبا ما يفرض فرضا على مندوبيّات الثقافة !! لذلك باع روايته جوكا كبايع الحيز في الأرياف .

\* دور النشر لا لجان قراءة لها .

\* بخصوص المسألة الجنسيّة في الرواية يعجب حسن بن عثمان : « نحن لا أنف لنا لا شفة لنا » .

\* حول وضعيّة الكتاب التونسي ووضعه الاعتباري المنعدم ضرب وضعيّة معكوسة وهو ما يسمّى في الرّياضيّات « Raisonement par l'absurde » :

تخصيص حرس جمهوري لكاتب برازيلي في معرض الكتاب بفرنسا !

\* نحن نجرب باستمرار واستيهامنا لا أصول له في الواقع لأننا نستعير غيرنا أسلوبا ومضمونا .

ج - أمسية تكريم الشاعر نزار قباني :

يقول الشاعر الراحل : « أن يكون الإنسان شاعرا في الوطن العربي ليس معجزة بل المعجزة أن لا يكون » ربما لأنّ الشعر جنون والوطن مصحة مجانين ومعتوهين !

رجل الشاعر وما رجل رغم الموت العضوي .. هو خلاص ضروري من اتون الشعر . أليس هو القائل : « خلاص الشاعر من شعره والسبكة من مائها . لا يكون إلا بالموت » . .

بهذه المناسبة المؤثرة ، قدّمت الشاعرة جميلة الماجري صاحبة «ديوان النساء» كتابا عنوانه «نزار الذي نراه» وقد ألّفه كلّ من الشعارين المنصفين المزعني والوهايبي وجميلة الماجري . ويتضمّن ثلاث مقالات تعترف بالجميل لشاعرية رجل تربّت أجيال هذا القرن على شعره .

في كلمته الصغيرة الكبيرة أثار الأستاذ الروائي «محمد سعد برغل» مسائل جوهرية منها أنّ الشاعر نزار قباني :

- \* يتمتع باجماع حول شعره .
- \* شغل الناس ولم يشغل النقد .
- \* يحتاج منا إلى دراسات جادة .
- \* هو مغاير في شعره للمدرسة العراقية (البيّاني والسيّاب) وللمدرسة الشامية (أدونيس . يوسف الخال . سعيد عقل ...)
- \* ظلم نقدياً ولم يظلم جماهيرياً .

### 3 - الورشة :

انعقدت في واقع الأمر ثلاث ورشات اهتمّت الأولى بالشعر والثانية بالقصة والثالثة بالنقد . وقد اقتصرمت متابعتي لفعاليات ورشة النقد دون سواها .

الجلسات الثلاث أشرف عليها الأساتذة محمّد سعد برغل ومحمد البويكري ورجب جبيلون . وقد كانت طويلة مرهقة لكنّها لم تخل من متعة المعرفة والجدل والإختلاف لطبيعة المقالات المقدّمة وأهميّتها شكلا ومضمونا وقد لامست المدونة الشعرية التونسية الحديثة والقصصية المعاصرة .

وهذه عناوين المقالات المشاركة :

أ - عبد الحفيظ الزواري : « الطرافة الفنية في الرواية التونسية : قراءة في رواية « واجة بلا ظل » لعمر بن سالم » .

ب - بلهوان الحمدي : « حضور المرأة ... غياب الحب في « معجزة أخرى للحب » للقاظ الأسعد بن حسين »

ج - علي الشبعان : « بنيات الخطاب الشعري ودلالاتها في ديوان « أحفاد الموج » لهشام الحمدي : مقارنة أسلوبية - تأويلية » .

د - زهرة حمدي : « معاني الإنعتاق والإنطلاق في مجموعة « نوافذ العشق والنار » لشكري سلطاني » .

هـ - حافظ الطوجاني : « في بنية النص الشعري المعاصر (جميلة الماجري نموذجاً) » .  
هذه بعض المقالات التي قدمت ونوقشت وأثارت حواراً ساخناً . وهي لاشك

متباينة في مضمونها ومنهجها ولقيمتها العلمية . كان يمكن أن تقدم في ورشة الشعر عساها تنير السبل للشعراء الهواة وفي ورشة القصة لنفس الغرض إن فعل التزامن لا يمكن القاص والشاعر من متابعة جلسات النقد .

#### 4 - مختارات من المهرجان

<http://Archivebeta.Sakina.net>

فيم يلي مرادة للكلمات حيث تصمت الأسئلة وتتضائل الحيرة وينقاد المعنى سلسبيلاً .

أ - قديماً ... / ثوبت إلى نارها / فاشتعلنا وقالت : هي الأرض ما ملكت / غيرنا أيها الفصل / فاندرك عندي / فأنني / كما غيمة ضيقت كحلها / في حفيف الخريف / ترمدت وحدي (الشاعر حسن حمادة) .

ب - مشاريع للصعلكة / صمت الأزقة الهاربة / ومع ذلك... ومع ذلك / كل المرافئ تعرف وجه حبيبك / والنبتات المزهقات / تعرف وجه حبيبك / كذا الشمس والعمر / والنجمات السوارد / إلا أنت ... إلا أنت (فيصل البدوي) .

ج - في السلة تفاح وبعض المندرين / تحتاز السلة شارعين / تسابق السيارات المترنحة / تنسى أن تعتذر للقطط المذعورة / وتضايق بالهرولة / كل الساترين / فالسلة مكتظة / بالهفة والتفاح والمندرين / ثم حين يدخل غرفتها / سيعرف أن

السَّلة فارغة / وأنه أصبح تفاحا وبعض المندرين (العربي الكافي) .

د - أحبكم فقط / كأرضنا الصُّبور / كتحلة صغيرة تقبل الزُّهور / كفرخة مهاجرة تحاول العبور / أحبكم فقط / وينتهي الكلام / لأنَّ الحبَّ يا أحبَّتي / يذوبُ المقال في المقام... (عبد الوهاب بن داود) .

هـ - في البداية / لا أشتهي مثل آدم تفاحة / ثم أخرج من جنتي حافيا / لا أحبُّ الحياة / ولكنني لا أموت إذا لم يكن / في شواطئ عينيك قبر / يطل على البحر / أخرج من جسدي في البداية / حتَّى أصدِّق أنَّ يدي ورده / وأقدمها لك / لكنني خائف / أن تضيق العبارة / أو تنحني الكلمات . (طارق الكاسح) .

و - نصَّ: صمتك يلتهم الإسفلت . النص البارد كالجسر لا يفيد شيئا إذا لم يعبر عليه النَّاس . يقول بعض " الزَّعماء " : ولَّى زمن الكتابة والأحلام الرومنسية والشعر سبب بلاتنا !

الروائي «عبد الرَّحمان متيّف» برّد : ليس الأدب هو الذي يهزم البشر ، الإنسان وحده يهزم الكتابة إذا ما تركها وحدها تحارب . لو حارب معها لانتصر . صمتي يلتهم الإسفلت . كذا صمتكم يا « فيصل » و«عربي » و«عمار » . في تلك اللَّيلة في « المتصورة » البحر والأعراش : وقسيفساء الألوان الطالعة من العنب والبطيخ والدلاع . الصَّمت يلتهم الإسفلت ..... كنَّا ليلتها ضدَّ الصَّمت وضدَّ الوحدة والتَّجميع والإجماع . (بلهوان الحمدي) .

## 5 - إلى اللقاء ... عائدون :

في نهاية المطاف لابدَّ من تحية الشعراء . حافظ محفوظ ومجدي بن عيسى وشمس الدين العوني ومراد العمودوني وزهير النَّفزي وجمال الجلاصي دون أن ننسى المغضوب عليه الشَّاعر المفتون عبد الوهاب المنصوري .

وقبل عودة مأمولة نهئى « جمعية منارة الأدب بقلبيبة » ممثلة في الشَّاعرين نور الدين صمود ومدير دار الثقافة الصَّدِّيق رشيد بن عمار بنجاح الدورة الثانية عشرة لمهرجان الأدباء الهواة . وكلَّ صيف ونحن مبدعون .